الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد حديث ومعاصر
رمز المذكرة:.....

الموضوع:

مفهوم التجديد عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس

إعداد الطالب (ة): برحمة إكرام
إشراف: د. عمارة حياة

لجنة المناقشة		
أ.الدكتور	مولاي البودخيلي سيدي عبد الرّحيم	رئيسا
أ.الدكتورة	بن مداح شميسة	ممتحنا
أ.الدكتورة	عمارة حياة	مشرفا مقررا

العام الجامعي :1439 - 1440هـ /2017- 2018 م

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ

حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ ﴾

(سورة الرعد الآية: 11)

إهـــــداء

- أهدي ثمرة عملي إلى اللذين أوصى الله بهما خيرا في القرآن الكريم الوالدين العزيزين حفظهما الله وأطال عمرهما.
- إلى إخوتي وأصدقائي الّذين أعانوني في إنجاز هذا العمل وشاركوني الحياة الجامعية .
- إلى كلّ أساتذتي الكرام الّذين لم يبخلوا عليّ بوفرة علمهم
- إلى كلّ طلبة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة تلمسان.

إكـــرام

شكر وتقدير

أحمد وأشكر المولى عز وجل الّذي منّ عليّ بالصحة والعافية وأدعوه أن يوفقني وينير طريق عملي وأتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة : **عمارة حياة** التي لم تبخل علي بالنصائح والتوجيهات وإلى كلّ من قدّم لي يد المساعدة لإنجاز هذا البحث

مقدمة

مقدمـــة

عرف العالم الإسلامي العديد من الحركات الإصلاحية التي قامت لاستنهاض الأمة الإسلامية في فترات تعرّضها لعوامل الوهن والتفكك والتعثر نتيجة التحديات الداخلية والخارجية التي واجهتها في النواحي الإقتصادية والسياسية والثقافية والعقائدية.

ومن المصلحين الذين حاولوا بعث هذه الحركات ذات الأبعاد الدّعوية المهمة محمد بن عبد الوهاب، جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وسيد في قطب، المشرق العربي ثم جاء بعدهم عبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي في المغرب العربي كل هؤلاء وغيرهم كان هدفهم هو السعي نحو تنقية الدين من الشوائب التي ألصقت به ونشر التوعية بالدين الحق ونبذ كل ما نسب إليه من الخرافات والبدع والشرك ثم السعي نحو إقامة حكومة صالحة على أساس ديني.

ولقد كان من رواد تاريخنا ، وأئمة التجديد الثقافي والفكري فيه، الإمام عبد الحميد ابن باديس ، وما قام به وأنجزه كفرد أولا، ثم من خلال مؤسسة جمعية العلماء ثانيا، في هذا المعقل الحيوي من معاقل انتماء وبقاء الأمة الجزائرية.

و إنّ الأسباب الّتي دفعت بي إلى اختيار هذا الموضوع هو الرغبة الملحة في إبراز جهود الشيخ ابن باديس الإصلاحية للمحافظة على مقومات الشخصية الوطنية والتصدي لسياية التجهيل والتنصير التي حاول الإستعمار بكل وسائله فرضها على الشعب الجزائري، ثم محاولة تقريب المنهج التجديدي الذي بنى عليه الشيخ ابن باديس حركته الإصلاحية إلى الدارس بغية الإفادة منه.

ويطرح الموضوع الإشكالية الرئيسية التالية:

– ما مفهوم التجديد عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس ؟ وما أثر هذا المفهوم على عمله الإصلاحي؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية قسمت بحثي إلى فصلين تتقدمهما مقدمة وتمهيد وتنهيهما خاتمة.

أما التمهيد فسلط الضوء على الحركة الإصلاحية باعتبارها مشروع مجتمع يقوم على إحياء الحضارة بتضافر جملة من العوامل المساعدة على ظهورها داخلية وخارجية، كما حاولت التعريف بماهية الإصلاح وكذا مصطلح التجديد .

وعالجت في الفصل الأول الحياة الثقافية والسياسية والدينية في عهد الإمام والاعتداءات التي تعرض لها الشعب من قبل المستعمر، وكذلك المنهج الإصلاحي الذي اتبعه الإمام وأهم سماته، و رئاسته لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع تحديد مختلف المراحل الّتي مرّت بها وإبراز أهدافها ومنجزاتها ومبادئها.

وتناول الفصل الثاني مفهوم التجديد الإصلاحي عند الإمام ، في أبعاد الإجتماعية والفكرية... إضافة إلى الإصلاح الديني بتطهير العقائد ومحاربة الطرقيين المنحرفين ، والإصلاح التعليمي الذي أخذ حيزا كبيرا من حياته لأجل القضاء على الجهل وتربية الجيل على العلم والمعرفة.

وخلصت في النّهاية إلى خاتمة تتضمّن النتائج الّتي تمّ التوصّل إليها بعد دراسة المادّة العلمية، ومناقشتها، وتحليلها طبق منهج واحد، ومراعاة لتوجيهات الأستاذة المشرفة وقد قمت بسرد قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في هذه الدراسة.

ونظرًا لطبيعة الموضوع فقد اعتمدت المنهج التاريخي الوصفي الذّي استخدمته في تتبع الأحداث التاريخية ووصفها وترتيبها حسب التسلسل الزمني لها، واستعنت بالمنهج التحليلي في تحليل بعض الحقائق والقضايا الفكرية والدينية والتربوية انطلاقا من مفهوم عبد الحميد ابن باديس لها.

وإن كان لا بد من ذكر الصعوبات الّتي واجهتها في إنجاز هذه الدراسة فإنني أشير إلى أمرين اثنين لعل أهمهما هو ضيق الوقت إضافة إلى الاقتباس من المصادر والمراجع التي تحتوي على معلومات متشابهة و متداخلة فيما بينها.

و قد أعانني على تذليل تلك الصعوبات بعض المؤلفات أذكر منها :

- مجلة البصائر الّتي تعدّ من أهم المصادر ، حيث احتوت في مقالاتها الأحداث والوقائع الّتي تناولتها في موضوع الدراسة في الفصل الأول والثاني.

-كذلك مجلة الشهاب التي تعد لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

- مذكرات: كتاب الشيخ خير الدين

- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

-كتاب عبد الحميد ابن باديس وجهوده التربوية للدكتور مصطفى محمد حميداتو .

-كتاب آثار عبد الحميد ابن باديس للدكتور عمار طالبي.

في الأخير نشكر اللّجنة الموقرة الّتي أعانتني على تصويب هذه المذكرة

برحمة إكرام

2018/06/25

تمهيد

تمهيد :

كان ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر متفاعلا مع آراء المسلمين المصلحين وزعمائهم من أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده. بعد مرورها بعدة جهود إصلاحية فردية وكذا جماعية تبلورت بصفة رسمية في جمعية واحدة هي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الّتي أنشأها الإمام عبد الحميد ابن باديس سنة 1931 م وقد سجلت بأعمالها الإصلاحية مظهرا راقيا من مظاهر الوحدة الفكرية في المغرب العربي والمشرق وهي وحدة تحققت بفعل عامل الدين الإسلامي واللغة العربية .

والحركة الإصلاحية في الجزائر كانت دينية في جوهرها، اجتماعية علمية في أسلوبها، سياسية وطنية في نتائجها. ولقد عملت الجمعية جاهدة على تغيير أوضاع المجتمع الجزائري، وانطلاقا من إيمانها بأهمية العمل التدرجي والمرحلي، فقد جعلت نصب عينيها تغيير أفكار الناس وثقافتهم لتغير المحيط الإجتماعي، آخذة بقول الله تعالى: * إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ * (1).

وقد اتخذت لأجل تحقيق هدفها المنشود طريق الإصلاح لاسيما وأن لفظ الإصلاح يعرف بأنه من المفاهيم المرتبطة بالإسلام إذ تعد كلمة الإصلاح من أهم ما احتوته الحضارة الإسلامية على مدار تاريخها الطويل بدليل أن القرآن الكريم قد ساهم في نشر فكرة الإصلاح (2).

وقد عبرت الآيات القرآنية الكثيرة عن الإصلاح، واتخذها المصلحون مورد لحركاتهم الإصلاحية ونجد ذلك في قوله تعالى : * **وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا** * (3).

---

(1) – سورة الرعد – الآية 11.

(2) – عبد الكريم بوصفصاف – الفكر العربي الحديث والمعاصر (محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا) – الجزء الأول – دار مداد يونيفارسيتي براس – قسنطينة – 2009 – ص 271.

(3) – سورة الأعراف – الآية 56

تمهيـــد:

ومفهوم الإصلاح عند العلماء يهدف إلى تغيير حالة الفساد في المجتمع الجزائري والبحث عن البديل الذي يليق بالأمة . وكل ذلك نتج عن وعي رجال الإصلاح الذين كانوا يتقاسمون هموم وآلام شعوبهم ويدركون الأخطار المحدقة بهم (1).

وقد سطرت الحركة الإصلاحية خطة واضحة المعالم ، تقوم على نظام محدد يسهم في نشر مبادئها والتعريف بمنهجها الإصلاحي (2)، ذلك هو منهج التجديد، وتجديد الشيء هو إرجاعه إلى حالة الجدة أي الحالة الأولى الّتي كان الشيء عليها من الاستقامة وقوة أمره.

وذلك أن الشيء يوصف بالجديد إذا كانت متماسكة أجزاؤه ، واضحا رواءه مترقرقا ماؤه ويقابل الجديد الرثيث...(3).

والتجديد في نظر الحركة الإصلاحية يعد السبيل لإمتداد تأثيرات الدين الكامل وثوابته وأصوله إلى الميادين الجديدة والأمور المستجدة وهو الضمان لبقاء الرسالة صالحة دائمة في كل زمان ومكان ولولا مدة الفروع الجديدة إلى الجديد والمحدثات وإقامته الخيوط الجديدة بين الأصول الثابتة وبين الجديد الذي يطرحه تطور الحياة، ولولا تجديده الدائم الذي يجلو الوجه الحقيقي النقي لأصول الدين وثوابته لنسخت وطمست هذه الأصول إما بتجاوز الحياة الممتدة لظل الفروع الأولى، والقديمة فيعرى هذا الإمتداد الجديد من ظلال الإسلام...(4).

---

(1)- أحمد مريوش - الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية - الطبعة الأولى - دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع - الجزائر - 2007 - ص 16.

(2)-جمعية العلماء المسلمين - سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - دار المعرفة - الجزائر -2009 - ص 46.

(3)-كمال عجالي - الفكر الإصلاحي في الجزائر - الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد - شركة مزوار - الوادي -2005 - ص35.

(4)- محمد عمارة - مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية- مكتبة الشروق الدولية - الطبعة الثانية -1427هـ - 2007 م ص 15.

تمهيـــد:

وعملية الإصلاح والتجديد تنطلق من الدين وتهدف إلى تغيير حالة الأمة من وضعها المرضي الذي تشوبه الإنحرافات والبدع والتخلف والجهل والإنحطاط إلى وضع يكون فيها المؤمن سليماً في عقيدته ملتزماً في العمل بأحكامها.

وقد سعت الحركة الإصلاحية بكل ما أوتيت من قوة إلى تحقيق مبدأ التجديد لتعيد ربط الأمة الجزائرية بهويتها الإسلامية وكان ذلك تحت لواء جمعية العلماء المسلمين التي حددت عملها الإصلاحي في:

1- الرجوع إلى الماضي العريق فكرا وثقافة وتراثا مع صياغته على وجه يساير العصر وهو ما عرف بعملية " الإحياء".

2- نقد الواقع من التخلف المادي والأدبي والفكري.

الفصل الأول

ابن باديس وجهوده الإصلاحية

كادت الجزائر في فترة الاحتلال الفرنسي أن تندثر معالمها نتيجة للسّياسة الاستعمارية الظالمة التي كان هدفها طمس مقومات شخصيتها والقضاء عليها منذ الوهلة الأولى غير أنّه ومع بزوغ القرن العشرين عرفت الجزائر ملامح التغيير لبناء صرح جديد يعتمد علي المقاومة السياسية كمنطلق رئيسي على المستوى الفكري والنضالي ، وكانت الحركة الإصلاحية من بين التيارات التي سعت إلى الاعتماد على منهج إصلاحي لتغيير الأوضاع المزرية التي آلت إليها الجزائر ،ومجابهة الاستعمار من أجل إخراجه من الديار .ومن بين القادة البارزين الذين نادوا بفكرة الإصلاح الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس،"إذ يعد مدرسا ماهرا وكاتبا ممتعا مهذبا في كتاباته وفقيها من الطراز الأول ،وهو أيضا مفسّرا ممتازا له استقلاليته في الفهم والرأي ، يقرأ التفاسير ثم يجعل من عقله مصفاة لها، فلا يخرج منها إلا ما صح ونفع ولاءم العصر وصدق الخبر ، مع حسن العرض، واستنباط واع.كما أنهّ مرب عظيم أسس المدارس الإبتدائية الحرة العربية في مختلف أنحاء الوطن ، ودعا إلى تعليم المرأة الجزائرية وأخذ بيد تلاميذه وأبنائه،وكان لوالده فضل كبير في مساعدته للوصول إلى ما أراد لمواطنيه من آمال ، ومحاربة البدع والخرافات والأباطيل حتى عاد للدين صفاؤه ونقاؤه وعادت لأبناء الجزائر هويتهم الوطنية العربية الإسلامية .وابن باديس محدث بصير وأديب ذواقة، يعشق الأدبين القديم والحديث وينقد هما، ويعطي لطلابه وزائريه زبدة ما قرأ، ويوازن بين شعر وشعر وينشر الملح والطرائف.وله باب في الشهاب بعنوان "من أحسن القصص والأدب " جمع فيه بين كل طريف وظريف.[1]

(1)-محمد يحي الدين سالم – (ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير)-دار الشروق- 1420هـ-1999م –الطبعة الأولى-ص37

المبحث الأول : الحياة السياسية والثقافية والدينية في عهد الإمام :

إن انتشار المدارس والمعاهد والزوايا في مختلف نواحي الجزائر قبل الاحتلال دليل على أن الحياة الفكرية والثقافية كانت مزدهرة بها.

وقد اشتهرت مدن قسنطينة و الجزائر و تلمسان و بلاد ميزاب في الجنوب بكثرة المراكز التعليمية، وكان يقوم عليها أساتذة وعلماء مشهود لهم بعلو المكانة ورسوخ القدم في العلم والمعرفة، مثل الشيخ الثميني في الجنوب،و الشيخ الداودي في تلمسان،و الشيخ ابن الحفاق بالعاصمة و الشيخ ابن الطبال في قسنطينة،و الشيخ محمد القشطولي في بلاد القبائل و غيرهم كثير ممن تفرغ للتدريس ونشر العلم (1) .

وكان من نتائج هذا الانتشار الواسع لمراكز التربية والتعليم، أن أصبحت نسبة المتعلمين في الجزائر تفوق نسبة المتعلمين في فرنسا" فقد كتب الجنرال فالز سنه 1834 م بأن كل العرب (الجزائريين) تقريبا يعرفون القراءة والكتابة، حيث أن هناك مدرسيين في كل قرية... أما الأستاذ ديمتري، الذي درس طويلا الحياة الجزائرية في القرن التاسع عشر فقد أشار إلى أنه قد كان في قسنطينة وحدها قبل الاحتلال خمسة وثلاثون مسجدا تستعمل كمراكز للتعليم كما أن هناك سبع مدارس ابتدائية وثانوية يحضرها بين ستمائة وتسعمائة طالب، ويدرس فيها أساتذة محترمون لهم أجور عاليه"(2). وقد أحصيت المدارس في الجزائر سنه 1830 م بأكثر من ألفي مدرسة ما بين ابتدائية وثانوية وعالية.(3).

---

(1)- مصطفى محمد حميداتو- عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية- طبعه 1 -كتاب الأمة- 1418ه -1997م -ص 45

(2)- المرجع نفسه- ص 46

(3)- المرجع نفسه -ص 46

و كتب الرحالة الألماني"فيلهلم شيمبرا"بعدما زار الجزائر في شهر ديسمبر1831م قائلا:"لقد بحثت قصدا عن عربي واحد في الجزائر يجهل القراءة والكتابة، غير أني لم أعثر عليه،في حين أني وجدت ذلك في بلدان جنوب أوروبا، فقلما يصادف المرء هناك من يستطيع القراءة من بين أفراد الشعب" [1].

وقد برز في هذه الفترة علماء في كثير من العلوم النقلية والعقلية، زخرت بمؤلفاتهم المكتبات العامة والخاصة في الجزائر، غير أن يد الاستعمار الغاشم عبثت بها سلبا و حرقا في همجية لم يشهد لها التاريخ المعاصر مثيلا ،يقول أحد الغربيين واصفا ذلك : "إن الفرنسيين عندما فتحوا مدينة قسنطينة في شمالي إفريقيا، أحرقوا كلّ الكتب والمخطوطات التي وقعت في أيديهم،كأنهم من صميم الهمج"[2].يظهر مما ذكرنا أنه كان للجزائر مكانها المرموق بين أقطار المغرب في خدمه علوم العربية و الإسلام، كما قدّمت أعلاما ،حملوا الأمانة وكانت تشدّ إليهم الرحال في طلب العلم.وفي فترة دخول المستعمر و لم تقتصر الإحتلال الفرنسي على الجوانب السياسية والعسكرية والإقتصادية فحسب، بل عمد إلى تدمير معالم الثقافة والفكر فيها وقد ظهر حقده الصليبي في إصراره على تحطيم مقومات الأمة وفي مقدمتها الدين الإسلامي و اللغة العربية، معتمدا على ما يلي :

1- تهجير الفرنسيين والأوروبيين للاستيطان بالجزائر :

فبعد أن يتم الاستيلاء على الأرض أولا بالجيش و القوة، ويتم دحر كل مقومات الشخصية الوطنية، يبدأ العمل والإعداد لتوطين المهجرين من أوروبا عامة و فرنسا خاصة، في هذه الأراضي الّتي اغتصبت من أصحابها عنوة .بعد مرور قرن من الاحتلال والاستيطان "بلغ عدد هؤلاء المعمرين مليونا من الأفراد، يمثلون عشر سكان الجزائر".[3] كلّ هذا العدد الضخم من المعمرين، تَمّ إسكانهم ومنحهم أحسن وأخصب الأراضي الّتي يملكها الجزائريون، بما فيها أراضي الأوقاف الإسلامية.

---

(1)- أبو العيد دودو- الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان- 1975- الجزائر- ص 13.

(2)- مصطفى محمد حميداتو- عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية- ص 47.

(3)- محمد خير الدين- مذكرات محمد خير الدين- الجزء الأول- مؤسسة الضحى الطبعة 2 -2002- ص 324.

2- إرهاق الشعب الجزائري بالضرائب :

لقد عمدت إدارة الاحتلال الفرنسي من فرض غرامات و إتاوات كثيرة وكبيرة، من غير مبرر ولا سبب، على الشعب الجزائري و لهذا كان لزاما على الجزائريين "أن يدفعوا 14 مليونا من الضرائب العربية، 23 مليونا من الضرائب الإجمالية في عام 1870م. ودفعوا في أعوام 1885م- 1890م : 408 ألف فرنكا وسيطا في السنة...ومن جراء افتقار المسلمين، لم يكن بلوغ هذه المعدلات قبل أعوام1907م-1914م، ممكنا و 45 مليون فرنك في عام 1912م،و في مطلع القرن العشرين كان الجزائريون يدفعون من الضرائب المباشرة ضعف ما يدفعه الأوروبيون، يدفعون 46 $^{0}/_{0}$ من الضرائب التي تجبى في الجزائر"[1]. وهذه الجباية الضخمة من الضرائب والإتاوات التي تحصل عليها إدارة الاحتلال، كانت تشمل كل شيء يملكه الجزائري أو يصدر عنه" كالتلفظ بعبارات معادية لفرنسا، ورفض السخرة أو العمل في المزارع الأوروبية أثناء الحصاد، أو إحداث أي نوع من أنواع شغب أو مخالفة التقاليد المهذبة كالبصق في الطريق العام،و بعض المخالفات الأخرى، كالتأخر في دفع الضرائب، وعدم تسجيل المواليد و الوفيات،و فتح المدارس الدينية بدون إذن...."[2]

3- مصادرة الأوقاف الإسلامية والاستيلاء عليها :

كان التعليم في الجزائر يعتمد اعتمادا كبيرا على مردود الأوقاف الإسلامية في تأدية رسالته، وكانت هذه الأملاك قد أوقفها أصحابها للخدمات الخيرية، وخاصة المشاريع التربوية كالمدارس والمساجد والزوايا، و كان الاستعمار يدرك بأن التعليم ليس أداة تجديد خلقي فحسب، بل هو أداة سلطة و سلطان و وسيله نفوذ و سيطرة وأنه لا بقاء له إلا بالسيطرة عليه فوضع يده على الأوقاف،قاطعا بذلك شرايين الحياة الثقافية.[3]

وكانت أولى المؤسسات الإسلامية الاجتماعية الخيرية،الّتي سعى الاستعمار للسيطرة عليها، بعد مؤسسة المسجد ،مؤسسة الأوقاف وأملاكها والتي كانت مصدر خير كبير و نفع عظيم، على

---

(1)-عبد الرشيد زروقة -جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر- دار الشهاب - الطبعة الأولى- 1420هـ- 1999م- ص 24

(2)- المرجع نفسه ص 25

(3) مصطفى محمد حميداتو- عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية- ص 48

مجموع الأمة و علمائها وطلبة العلم،و أول خطوة اتخذها في هذا المجال إصداره لقرار 8 سبتمبر 1830م و الذي بمقتضاه تم الاستيلاء على جميع أملاك الأوقاف الإسلامية في المناطق التي احتلوها، رغم وعودهم الكاذبة بعدم المساس بمقدسات الأمة ورموزها، من مساجد وأوقاف وعلماء وكتاتيب قرآنيه وزوايا.و واصل تدميره لمؤسسة الأوقاف الإسلامية،بإصداره في 7 ديسمبر 1830 لقرار آخر، أعطى من خلاله الحق والشرعية لنفسه في أن يتصرف في أملاكها بالتأجير و الكراء،و المصادرة و التمليك وغير ذلك.[1]

4-التضييق على التعليم العربي :

أدرك المستعمر منذ وطئت أقدامه أرض الجزائر،خطورة الرسالة الّتي تؤديها المساجد والكتاتيب والزوايا، في المحافظة على شخصية الأمة، فلم تكن هذه المراكز قاصرة على أداة الشعائر التعبدية فحسب، بل كانت أيضا محاضر للتربية والتعليم وإعداد الرجال الصالحين المصلحين، لذلك صبت فرنسا غضبها عليها بشدّة، فعمدت إلى إخماد جذوة العلوم والمعارف تحت أنقاض المساجد والكتاتيب والزوايا الّتي دمرت فلم تبق محرومة منها سوى جمرات ضئيلة في بعض الكتاتيب، دفعتها العقيدة الدينية، فحافظت على لغة القرآن و مبادئ الدين الحنيف في تعليم بسيط و أساليب بدائيه[2] .

حطم الفرنسيون في الثامن عشر ديسمبر من سنة 1832م جامع كتشاوة، وحولوه بعد تشويه شكله و تغيير وضعيه إلى كاتدرائية،أطلق عليها اسم القديس فيليب "cathédral saint Philipe"،والشيء نفسه وقع لمسجد حسن باي بقسنطينة غداة سقوطها بأيديهم سنة 1837م...

هكذا اختفت كثير من الكتاتيب القرآنية ومدارس التعليم الإسلامي ، التي كانت مزدهرة قبل الاحتلال الفرنسي .

---

(1)- عبد الرشيد زروقة- جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر- ص 26

(2)-محمد ناصر- المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها تطورها أعلامها من 1903 إلى 1931- وزاره الثقافة- الجزء الثاني -الجزائر 2007 - ص 15.

إنّ هذه الحرب الشعواء الّتي شنها الاستعمار على الدّين الإسلامي و اللّغة العربية، جعلت التّعليم في الجزائر يصل إلى أدنى مستوى له، فحتّى سنة1901م- أي بعد حوالي 70 سنة من الاحتلال- كانت نسبة المتعلمين من الأهالي لا تتعدى3.8$^{0}/_{0}$ [1] ، فكادت الجزائر أن تتجه نحو الفرنسية والتغريب أكثر من اتّجاهها نحو العروبة والإسلام.

لقد تأثرت الحياة الفكرية والدّينية في هذه الفترة ببعض العوامل الأخرى، نذكر منها ما يلي :

4-1/ الطرق الصّوفية :

التصوف ليس هو مجرد الزهد في الدّنيا، فإن هذا أمر لا إنكار فيه، مادام في حدود الزّهد المشروع والمباح، ولو صح أنّ التصوّف في أول أمره هو الزّهد في الدّنيا، فإنّه بعد ذلك لم يعد مقتصرا على هذا المفهوم، بل صار الزهد مظهرا له وليس مبدأ من مبادئه، بل إننا نجد من المتصوفة المتأخرين ومن رؤوسهم ودعاتهم من لا يظهر عليهم الزهد، بل يظهر عليهم الغنى والترف، فالمقصود منه هو ذلك المذهب الّذي له فلسفته ومبادئه الّتي يقوم عليها، وهو مذهب حادث في الإسلام بعد عصر النبوة والصحابة رضي الله عنهم ،وتنوّع إلى طرق كثيرة، تقوم على عقائد فلسفية كفرية كالحلول والاتّحاد و وحدة الوجود، أو تؤول إليها، أو على عقائد شركية في العبودية بدعاء غير الله لطلب نفع أو كشف ضر، أو محادثات بدعية في الذكر و أداء العبادات، وتعتمد في مصادر التلقي على الكشف والذوق و الوجد وغيرها، وتقدّمها على كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتؤوّل كلام الله بتأويلات باطنية تسمّيها إشارات.[2] ولا تخلو أية طريقة من الطرق الصّوفية من كفر أو شرك أو بدعة في الاعتقاد أو العمل ممّا يخرجهم من الدّين أو من منهج السلف أهل السنة والجماعة ومع ذلك من الإنصاف أن نذكر هنا الدّور الايجابي الذي قامت به بعض الطرق الصوفية مند بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، فقد ساهمت زواياها في نشر الثقافة العربية الإسلامية، كما قام كثير من رجالاتها بالتصدّي للاستعمار والاستبسال في محاربته.

---

(1)-محمد ناصر- المقالة الصحفية الجزائرية -الجزء الثاني- ص 15.

(2)-مركز البحوث والدراسات- التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد بن باديس –البيان- 1435هـ ص 20

فقد كان الأمير عبد القادر الجزائري راسخ القدم في التصوف، وكان الشيخ الحداد- أحد قادة ثورة القبائل الكبرى عام 1871م- قد انتهت إليه مشيخة الطريقة الرحمانية في وقته، إلّا أنّ كثيرا من الطرق قد انحرفت فيما بعد عن الخط العام الّذي رسمه مؤسّسوها الأوائل، فكثرت عندها البدع و الضلالات والخرافات و تقديس القبور و الطواف حولها، والنذر لها، و الذبح عندها وغير ذلك من أعمال الجاهلية الأولى.[1]

كما أنّه كانت لبعض رجالاتها مواقف متخاذلة تجاه الاستعمار، حيث سيطرت هذه الطرق على عقول أتباعها و مريديها، ونشرت بينهم التواكل و الكسل وثبّطت هممهم في الاستعداد للكفاح من أجل طرد المحتل الغاصب، بدعوى أن وجود الاحتلال في الجزائر هو من باب القضاء والقدر،الّذي ينبغي التسليم به، والصبر عليه، و أنّ طاعته هي طاعة لولي الأمر بهذه الروح المتخاذلة و التفكير المنحرف كانت بعض الطرق سببا في إطالة ليل الاستعمار المظلم في البلاد من جهة،وتفرق صفوف الأمّة وضلالها في الدّين والدّنيا من جهة أخرى.[2]

4-2/-إنتشار الجهل والأمّية :

لقد أدّت الثورات المتتالية الّتي خاضها الشعب ضدّ الاحتلال الفرنسي الغاشم إلى فقدان الأمّة لزهرة علمائها في ميدان الجهاد،كما أنّ كثيرا من المستنيرين من حملة الثقافة العربية الإسلامية هاجروا إلى المشرق العربي، و إلى البلاد الإسلامية الأخرى، يتحيّنون الفرص للرجوع إلى الوطن وتطهيره من سيطرة الفرنسيين كلّ ذلك ساهم في انتشار الجهل و تفشي الأمّية بين أفراد الأمّة، ممّا أثّر سلبا على الحياة الفكرية في تلك الفترة.[3]

4-3/-المدارس البديلة التي أنشاها الاستعمار :

لم تفتح هذه المدارس في حقيقة الأمر من أجل تعليم أبناء الجزائر و رفع مستواهم الثّقافي بل كان الاستعمار يقصد من وراء ذلك عدّة أمور منها :

-تجريد الشعب الجزائري من شخصيته العربية الإسلامية ومحاوله إدماجه و صهره في البوتقة

---

(1)- مصطفى محمد حميداتو- عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية- ص 50

(2)- المرجع نفسه- ص 51

(3)- المرجع نفسه- ص 52

الفرنسية بإعطائه تعليما هزيلا يجعله أسهل انقيادا لسياسته.

– قتل الروح الوطنية الّتي أدّت إلى إشتعال الثورات المتوالية، وجعل الشعب أكثر خضوعا للاحتلال.

– إيجاد قلّة متعلّمة للاستفادة منها في بعض الوظائف الّتي تخدم الاحتلال.

فقد أنشأت فرنسا لهذا الغرض عدّة مدارس ابتدائية منها المدارس الفرنسوية الإسلامية في الجزائر العاصمة وبعض المدن الأخرى ابتداء من سنة 1836م. لم تكن هناك مدارس للتّعليم الثانوي والعالي إلاّ بحلول القرن العشرين حيث فتحت المدرسة الثعالبية في عهد الحاكم الفرنسي"جونار" سنة 1904م رغم أنّ مرسوم إنشائها صدر منذ سنة 1850م.[1]

4-4/ هجر الأهالي للمدارس الفرنسية :

كان الأهالي يتخوّفون كثيرا من التّعليم الرّسمي المقصور علي تعلّم اللّغة الفرنسية وحضارتها، إذ رأوا فيه وسيلة خطيرة لفرنسة أبنائهم، فكان الإقبال على هذه المدارس ضئيلا جدّا... ومع عدم وجود المدارس الحرّة الكفيلة باحتضان أبناء المسلمين، فإن نسبة الأمّية ارتفعت إلى درجة مذهلة، كل هذه العوامل ساهمت بطريقة أو بأخرى في انتشار الجهل والأمّية بين أفراد الشعب، ممّا جعل الحالة الثقافية و الفكرية والدّينية في تلك الفترة تتقهقر لتصل إلى أدنى مستوياتها.[2]

الأمّة الجزائرية هي قطعه من المجموعة الإسلامية العظمى من جهة الدّين وهي ثلّة من المجموعة العربية، من حيث اللّغة الّتي هي لسان ذلك الدّين فالأمة الإسلامية بهذا الدّين وهذا اللّسان وحدة متماسكة الأجزاء، يأبى الله لها أن تتفرق وإن كثرت فيها دواعي الفرقة، و يأبى لها دينها، وهو دين التوحيد، إلاّ أن تكون موحّدة.

وعلى الرّغم من الحصار الّذي فرضته فرنسا علي الجزائر لعزلها عن بقية الأقطار الإسلامية، خاصّة

(1)– مصطفى محمد حميداتو– عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية –مرجع سابق– ص 53.

(2)– محمد ناصر– المقالة الصحفية الجزائرية– الجزء الثاني– ص 9

تلك الّتي لم تبتل بما ابتليت به من محاوله طمس دينها و لغتها، فإنّه مع إطلالة القرن العشرين بدأت الجزائر تعيش حركه فكرية شبه متواصلة مع الأقطار الإسلامية الأخرى، سواء عن طريق الطلبة الّذين ابتعثوا للدّراسة في جامعة الزيتونة و الأزهر والجامعات الإسلامية الأخرى، أو عن طريق الدّعوات الإصلاحية الّتي قامت في البلاد الإسلامية مثل:دعوة جمال الدّين الأفغاني ومحمد عبده.[1]

وهناك عوامل أخرى ساعدت على قيام هذه الحركة الفكرية، كتلك البوادر الإصلاحية الفردية الّتي قام بها في الجزائر بعض العلماء المتفاعلين مع حركة الإصلاح الإسلامي... و لعلّ ممّا ساعد على قيام هذه النّهضة أيضا، تولى الميسيو"شارل جونار" الولاية العامّة في الجزائر.[2]

5- مفهوم النّهضة:

لقد أطلق مفهوم النّهضة دلالة على التّغيير الجذري الشامل ممّا يؤدي إلى ظهور كائن جديد في هذه العملية، وقد ظهر في إيطاليا ابتداء من منتصف القرن الرّابع عشر إلى بداية القرن السّابع عشر،وانتقل إلى الشرق في نهاية القرن التاسع عشر نتيجة لاتصال بالغرب وانقسم المفكرون حياله إلى قسمين :

القسم الأول: ويمثلها النصارى الّذين كانوا يهدفون إلى التخلّص من الخلافة العثمانية وكذا العلمانيون، ويرون أنّ النهضة العربية بدأت باحتلال نابليون لمصر سنة 1798م وتعزّزت بالبعثات إلى أوروبا ومنها.[3] ويرى أصحاب هذا الموقف أنّ النّهضة تتمثل في التنصل كليا من الماضي الشرقي وتبنى الحضارة الغربية برّمتها بحجة العصرنة والتحديث.

---

(1)- مصطفى محمد حميداتو- عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية- ص 53.

(2)- المرجع السابق- ص 54.

(3)- وهيض نظمي- ملامح من الفكر الغربي في عصر النهضة- مركز دراسات الوحدة العربية -الطبعة 1 - 1984 – بيروت- ص 105

القسم الثاني: يرى أصحابه أنّ النّهضة تتحقق بالربط بين الأصالة والمعاصرة، ويتمثل تصور ابن باديس لها فيما يأتي :

المجتمع كان في مرحلة ما غير فعال، وغير قادر على تطبيق قدراته الكامنة لحل ما يواجهه من مشكلات، وذلك بسبب انفصال المسلم عن الحقيقة القرآنية وعدم تطبيقيه للإسلام، ولما كانت الحقيقة القرآنية متكاملة تشمل الحياة الأخلاقية، والسّياسية والفكرية والاجتماعية والعلمية ناهيك عن العقيدة(الدّين والدّنيا) فإنّ التدهور والتّخلف الناتج عن البعد عنها متعدد الجوانب.[1]ومن هنا فلا قيام لأي نهضة إلاّ بجعل الإسلام أساسها، بمعنى أنّ النّهضة تتحقق ببعث الإسلام من جديد، أي الانطلاق من الأصالة و قد ساهمت عوامل عده في ظهور وانتعاش النهضة الفكرية في الجزائر :

5-1/- عوده الطلاب الذين درسوا في الخارج :

وهم الطلبة الّذين درسوا في جامع الزيتونة، جامع القرويين، والأزهر وفي الشام والحجاز، ساهم هؤلاء المثقفون بعد عودتهم إلى الوطن بجهود عظيمة في النّهوض بالحياة الفكرية والدينية بما أثاروا من هم وأحيوا من حميّة وبنوا من مدارس في مختلف أنحاء الوطن، وبما أصدروا من صحف، معتمدين في ذلك على القرآن والسّنة، فأصلحوا العقائد، وصحّحوا المفاهيم، ونقّوا الأفكار من رواسب البدع والخرافات التي علقت بها، وأحيوا الشّعلة التي أخمدها الاستعمار في نفوس الأمّة.

إن أغلب البعثات العلمية قد ظهر تأثيرها على الحياة الفكرية والحركة الإصلاحية بشكل ملحوظ، خاصة في العقدين الثالث والرّابع من القرن العشرين، مثل : الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الشيخ مبارك الميلي، وغيرهم.[2]

---

1)- عمار طالبي- ابن باديس حياته وأثاره- دار الغرب الإسلامي- الطبعة 2- الجزء 2- 1983م- بيروت- ص 100.

(2)- مصطفى محمد حميداتو- عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية- ص 54.

5-2/- الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي :

كان للدعوة الّتي قادها جمال الدّين الأفغاني أثر كبير في نشر الفكر الإصلاحي السلفي في الجزائر، فرغم الحصار الّذي ضربه المستعمر لعزلها عن العالم الإسلامي زار الشيخ محمد عبده وتلميذه الأستاذ جمال الدّين الجزائري عام 1903م واجتمع بعدد من علمائها، منهم الشيخ محمد بن الخوجة، الشيخ عبد الحليم بن سماية، كما ألقى في الجزائر تفسير سورة العصر، وقد كان لمجله المنار و العروة الوثقى، تأثير كبير على المثقفين من أهل الجزائر، الّذين اعتبروا دروس العقيدة الّتي كانت تنشرها (المنار) للإمام محمد عبده بمثابة حبل الوريد الذي يربطهم بأمتهم .[1]

5-3/- ظهور الصحافة العربية في الجزائر :

ظهرت في الجزائر خلال تلك الفترة صحافة وطنية عربية، ساهمت مساهمة فعالة في بعث النهضة الفكرية والإصلاحية الحديثة، فقد عالجت في صفحاتها كثيرا من الموضوعات الحسّاسة،منها : الدعوة إلى تعليم الأهالي،وفتح المدارس العربية لأبناء المسلمين، والتنديد بسياسة المستعمرين واليهود ومقاومة الانحطاط الأخلاقي و البدع والخرافات، فهذا الأستاذ عمر راسم يجلجل بآرائه في غير مواربة ولا خوف، فيقول :"أجل، يجب أن نتعلم لكي نشعر أننا ضعفاء، يجب أن نتعلم لكي نعرف كيف نرفع أصواتنا في وجه الظّلم، يجب أن نتعلم لكي ندافع عن الحق وتأبى نفوسنا الضيم، ولكي نطلب العدل والمساواة بين النّاس في الحقوق الطّبيعية، وفي النهاية لكي نموت أعزاء شرفاء و لا نعيش أذلاء جبناء".[2] كما ظهر في هذا الميدان كتّاب شاركوا بمقالاتهم وتحليلاتهم في تشخيص الدّاء الّذي ألمّ بالأمّة، واقتراح الدّواء الناجح لذلك،من هؤلاء الشيخ المولود بن الموهوب،والشيخ عبد الحليم بن سماية، والأستاذ عمر بن قدور،و غيرهم.

---

(1)- المرجع السابق- ص 57

(2)- عمر راسم- مقال بعنوان "الإنسانية تتعذب"- جريده الحق الوهراني- العدد 46- 25 أوت 1912م-ص 3.

5-4/-تولي"شال جونار" الولاية العامة في الجزائر :

على الرغم من أنّ الميسيو"جونار" فرنسي نصراني،إلاّ أنّ وصوله إلى منصب الحاكم العام في الجزائر، كان له أثر كبير،فهذا الأخير شجع إحياء فن العمارة الإسلامية، وبعث التراث المكتوب، والتقرّب من طبقه المثقفين التّقليديين وتشجيعهم على القيام بمهمتهم القديمة، كإقامة الدّروس في المساجد ونحوها كما اهتمّ بالتأليف ونشر الكتب العلمية وكتب التراث،ممّا كان له أثر هام على الحياة الثقافية في الجزائر.[1]

(1)- رأفت غنيمي- ملتقى دولي حول : "الفكر الإصلاحي عند الإمامين عبد الحميد بن باديس و بديع الزمان سعيد النورسي"- يوم 6- 7 جمادى الثاني 1435هـ- الموافق 16- 17 ابريل 2013.م www.islamic rabta.com

المبحث 2 : منهج ابن باديس الإصلاحي :

1/ – سمات الشيخ في منهجه الإصلاحي :

يتّسم الشيخ بالتواضع والرّفق بالنّاس والتسامح معهم والتفاؤل لهم، والاعتماد على الخالق من ناحية،و الصرامة في الحق والشجاعة من ناحية ثانية ولقد انتهج في دعوته منهجا يوافق الإصلاح الدّيني في البعد و الغاية، وإن كان له طابع خاص في السلوك والعمل يقوم على ثلاثة محاور أساسية يظهر أعلامها في إصلاح عقيدة الجزائريين بالدّرجة الأولى،و بتوفيق من الله جعله قادرا على توجيه الأمّة الجزائرية إلى النصر في أناة وحزم.(1)

1– 1/ التسامح والتفاؤل والرفق بالخلق :

تتجلى هذه الصفات مجتمعة في مواطن عدة،فهو لا يسلك مسلك العلماء شديدي الالتزام الّذين يغرسون اليأس في النّفوس،لأنّهم يظنون أنّ إصلاح النّفوس لا يكون إلاّ بالزجر و اللّوم والإغلاظ في القول،بل نراه يأسر القلوب بتواضعه ومودّته، فقد قيل : أنّه كان يعامل تلاميذه كأبنائه، وأنّه كان يودّعهم فردا فردا عند سفرهم إلى قراهم أو بلادهم، كما نجده يأخذ بيده المذنبين برفق، يدعوهم إلى التوبة بإصلاح أنفسهم ويستحثهم على العودة إلى الله عندما يبين لهم أنّ جهاد النّفس هو أعظم الجهاد، وانّ الله يقبل توبة العاصين لأنّه كثير المغفرة .(2) .فالطريق الأمثل لإصلاح النّفوس هي بالتوبة إلى الله تعالى، والإمام ابن باديس لا يريد أن يقطع طريق التوبة على أحد، فإنّه ينهى عن محاولة إذلال الخصم و وصفه بالكفر أو بأنّه من أهل النّار، بل من الأفضل أن تعرض عليه البراهين على بطلان الكفر وسوء عاقبته ومن حسن السياسة ألا يستخدم أسلوب التقريع الّذي ينفر النّاس من الوعظ، فليس ثمة نفع في أن يقال لمرتكب الكبيرة أنّه فاسق،بل الأولى أن يبين له قبح الكبيرة و ضررها ثم هو يبث التفاؤل في نفوس العاصين مع تحذير المؤمنين من العجب والغرور، فربما كانت عاقبه من هو من أهل الكفر إلى الخير والكمال، وربما ينقلب شخص من أهل الإيمان على عقبه في هاوية الوبال.(3)

---

(1)– محمد بهي الدين سالم– ابن باديس فارس الاصلاح والتنوير– دار الشروق– الطبعه 1– 1420هـ– 1999م– ص 77.

(2)– المرجع نفسه– ص 77.

(3)–المرجع نفسه– ص 78

1-2 / رجاء في الله وفرار إليه :

ليس التفاؤل عنده نوعا من الآمال الساذجة أو تخيّل المحال ،و الشيخ ابن باديس لا يتعجّل رحمة الله الّتي ستأتي،و قد زاد إيمانه باقتراب ساعة الخلاص من المحنة فقال في اجتماع عام : "أما بعد : فمرحبا بأبناء الجزائر وأفلاذ أكبادها، مرحبا بورثة مجدها الخالد، وحماة مجدها الطارف، وبناة مجدها الآتي الّذي يتخبط به أحشاء الأيام."[1] ولم يكن ابن باديس إلاّ صادق الحسّ، فإنّ هذا التفاؤل الّذي بعثه في النّفوس يستطيع أي إنسان أن يلمسه في هذه الطفرة العجيبة الّتي حدثت ما بين سنة 1933م- 1948م. وكان الشيخ ابن باديس يعلم حقّ العلم أنّ التفاؤل لا يثمر إلاّ إذا كان يرتكز إلى دعامة دينية هي الاعتماد على الله لا على المخلوق.

1-3/خلق العفو :

لعلّ من سمات ابن باديس خلقه الإسلامي الأصيل وهو العفو، فإنّ خصومه من الطرقيين، وربما كان من ورائهم محركو الطرقية دبّروا له أمرًا فأفسد الله تدبيرهم عندما فشلت محاوله اغتياله، ولم يرد أن ينتقم لنفسه، بل عفا عن هذا الّذي أرسل لاغتياله.[2]

1-4/ الصرامة في الحق :

إن طابع الصرامة والامتناع هو الغالب حتى في جانبه السهل، لأنّه كان صارما وممتنعا في تسامحه و سهولته، أي كان شخصا متسامحا و رفيقا بالنّاس والتّضحية من أجلهم. أما الجانب الصارم الممتنع قلبا وقالبا فيتجلّى في شدّته العنيفة في الحق وشجاعته النّادرة، وما كان لأحد من معاصريه أن يدانيه في هذين الأمرين من قريب أو بعيد، لأنه كان في الحقّ أكثرهم فرارا إلى الله و ثقة في تأييده، بمعنى أنّه كان رجلا شهما شجاعا يدعو دائما إلى الحق، وخير مثال على ذلك هو موقف ابن باديس الصارم من دعوة الصلح، بين جمعية العلماء وبين الطرقية عندما تقدم أحد الوسطاء بشروط الصلح، فقال ابن باديس :

---

(1)- محمد بهي الدّين سالم- ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير- مرجع سابق- ص 78.

(2)-المرجع نفسه- ص 79

"كيف يعقل أن يفيد صلح مع جماعة تطلب إليه أن يحلّل حراما،و يحرم حلالا ثمّ هو صلح مشروط بشروط تتلخّص في أنّ الطرق الصّوفية تطلب على لسان الوسيط إلى جمعية العلماء أن تقرّ البدع و المنكرات،وأن تسكت عنها، وأن تثبت الضلال وأن تحرم استخدام النظر العقلي و الاستدلال. إنّ هذه الشروط هي ذاتها هدم للصلح لا شرط فيه، لأنّ قبولها معناه أن تحل جمعية العلماء نفسها"[1] ثم يحسم ابن باديس الأمر مع دعاة الصلح بأن يطلب إليهم أن يعرضوا هذه الشروط على حكم لا يميل مع الهوى، وهو الكتاب والسنّة إذ أنّهما المعيار الحقّ.

2 -ظهور فكرة الإصلاح :

اتّفق ابن باديس مع المصلحين السّابقين أمثال جمال الدّين الأفغاني والإمام محمد عبده على أنّ الأمّة الإسلامية بدأت تدرك أنّها دخلت مرحلة دقيقة من تاريخها بسبب عودة الغزو الأوروبي الّذي ذكّرها بالحروب الصليبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين،وكان سقوط الجزائر هو النذير الأول، وارتفعت صيحات الإصلاح في جوانب العالم الإسلامي تدعو النّاس إلى معالجة دائهم بالقضاء على أسبابها.[2] فسلاح اليقظة في نظر ابن باديس هو بالعودة إلى طريق الإسلام بإتباع الكتاب والسنّة.

3- نجاح خطة الإصلاح :

نجحت خطّة الإصلاح التي رسمها عبد الحميد بن باديس ونفذها بصبر و أناة إذ استطاع أن يعزل المتحالفين، فبدأ بالطرق الصوفية التي أراد في أول الأمر أن يستخلص العناصر السليمة فيها، فلمّا حاربته بدأ يعزلها عن الشعب فلما لجأت إلى المستعمر أظهرها بمظهر الخيانة ففقدت سلطانها على الشعب. ولما انتهى من الأذناب ظهرت دولة الباطل على حقيقتها، غير أنها تنبهت بعد فوات الوقت إلى أن مصلحا قطع الطريق عليها في رفق ودون تظاهر بالبطولة فحاصرها ببعث اللّغة، وتجديد العاطفة الدّينية الصادقة ممّا أحيا في الأمّة روح المطالبة بحقوقها ولقد قام بهذا الحصار بأسلوبه السهل.

---

(1) -المرجع السابق -ص 80.

(2)-المرجع نفسه -ص 82

الرفيق الهادئ في الوقت الّذي ظن فيه المبشرون أنّ الحكومة الفرنسية العلمانية بالجزائر قد هيأت لهم كلّ الوسائل في هذا القطر الإسلامي.[1]

4- وسائل العصر في الإصلاح :

استعان ابن باديس بأدوات العصر لإبلاغ دعوته، وفي مقدمتها الصحافة فإلى جانب دروسه ومحاضراته اتخذ من جريدة المنتقد الّتي أصدرت عام 1345هـ- 1926م أداة لبيان المفاهيم الإسلامية الصحيحة وانتقاد الأوضاع القائمة الّتي تخالف أحكام الكتاب والسنّة. وعمل على استصدار ترخيص(إصدار مجلته الشهيرة المعروفة بالشّهاب) وقد راعى في أسلوب تحريرها شيئا من المرونة دون تراجع عن أهدافه ومقاصده.[2] إلى جانب الصحف الّتي أصدرها ابن باديس وحرّرها بالعربية استعان على إبلاغ دعوته بكل أداة صحفية أخرى شريطة أن يكون قائما عليها من المخلصين له ولجماعته.

5- القرآن الكريم أساس الإصلاح :

عبد الحميد بن باديس دارس متعمّق للقرآن والسنّة وباحث وكاتب بالعربية له موهبة الرأي المتزن، و ذو نزعة سلفية في الفقه و الدّين، و قد نشرت مجلة الشهاب دروسه في تفسير القرآن، الّتي اتخذ صاحبها لها عنوانا هو(مجالس التذكير في تفسير كلام العليم الخبير) وقد استمرت هذه الدّروس تلقى كمحاضرات أكثر من عشرين عاما. وهي شاهد على غزارة علم صاحبها من جهة و واسع معرفته بأحوال مجتمعه وحاجاته الفكرية والاجتماعية من جهة ثانية. فهو لم يكن يتعسف تأويل آيات الكتاب، كما انّه لم يكن يغرق في تفاصيل الألفاظ والحروف والمعاني الجزئية، بل كان التفسير يحقق أهدافه العلمية التربوية الاجتماعية متضافرة متساند.[3]

انتهت إمامة التفسير عند محمد عبده و جاء بعده منشئ النهضة الإصلاحية العلمية الشيخ عبد الحميد ابن باديس لما وصله من تفاسير منشورة بالعربية خلال حياته

---

(1)- محمد بهي الدين سالم – ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير – مرجع سابق – ص 83 .

(2)- المرجع نفسه –ص 83.

(3)- المرجع نفسه- ص 85

و اختار من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما والى شرحه مجلة الشّهاب كما قدّم صورا معبرة لشخصيات من السلف تحمل القدوة والعبرة، وهكذا استخدم ابن باديس مصادر السلفية الأصلية من كتاب وسنة وتاريخ صحيح في تصحيح المفاهيم لدى المسلمين المعاصرين، وإعادة صياغة النهج السلفي في التفكير الإسلامي.

كانت مشكلة ابن باديس الأولى في دعوته الإصلاحية هي الطرق الصوفية،و التقى مع محمد عبده في ميدان الدّعوة للإصلاح الإسلامي، فقد عنى كلاهما بتصحيح المفاهيم والعقائد، واعتمد كلاهما على تفسير القرآن لتطهير العقول من ركام التقاليد البالية والبدع والضلالات، واهتم كلاهما بالتربية والتعليم و إنشاء المدارس للنهوض بالأجيال القادمة من أبناء المسلمين.[1]

وعند العودة إلى ما تركه ابن باديس رحمه الله وما كتبه عنه تلاميذه وبعد المختصين في التربية والتعليم نجد أنّ المنهج التربوي الباديسي يتكون من المبادئ التربوية التالية :

6- أساس الإصلاح إصلاح التعليم :

يرى ابن باديس رحمه الله أنّ أيّة عملية إصلاح في المجتمع لا بد أن تقوم على إصلاح التعليم أوّلا وأنّ أيّ إهمال لهذا الجانب سوف يؤدّي لا محالة إلى فشل العملية الإصلاحية، والأكثر من هذا هو أنّ ابن باديس يرهن صلاح المسلمين وصلاح علمائهم بصلاح التّعليم، يقول رحمه الله :"لن يصلح المسلمون حتّى يصلح علماؤهم فإنّما العلماء من الأمّة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كلّه وإذا فسد فسد الجسد كلّه... ولن يصلح العلماء إلاّ إذا صلح تعليمهم فالتّعليم هو الّذي يصبغ المتعلّم بالطابع الّذي يكون عليه في مستقبل حياته وما يستقبل من عمله لنفسه وغيره".[2] وعلى هذا الأساس عقد العزم على إصلاح التّعليم في الجزائر والعودة به إلى ينابيعه الأولى.

7- العلم قبل العمل :

يعطي ابن باديس أهمية بالغة للجانب العلمي التعلّمي ويرى بأنّ أيّ عمل لا يقوم على علم فهو غير مأمون النتائج، بل قد يشكّل خطر على صاحبه وعلى من يحيط به يقول رحمه الله :

---

(1)- المرجع السابق- ص 87.

(2)-عمار الطالبي- أثار ابن باديس تفسير و شرح أحاديث- الدار علامة- الطبعة -1 1388هـ -1968م المجلد الأول الجزء الأول- ص 101

"العلم قبل العمل ومن دخل العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال ولا على عبادته من مداخل الفساد والاختلال وربما اغتر به الجهال فسألوه فاغتر هو بنفسه فتكلّم بما لا يعلم فضل وأضل".[1] فقد بدل رحمه الله جهدا كبيرا في تعليم جميع فئات المجتمع الجزائري بما في ذلك النساء والكبار.

8- القدوة الحسنة :

يرى ابن باديس بأن إنجاح العملية التعليمية مرتبط بالقدوة الحسنة على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة والأمّة فالفرد لا يستطيع أن يحقّق أهدافه التعليمية والتربوية إلاّ إذا كان يمثّل القدوة الحسنة الصالحة، وكذلك الأمّة لن تكون قدوة لغيرها إذا أهملت أمر نفسها يقول رحمه الله :"لا يستطيع أن ينفع النّاس من أهمل أمر نفسه، فعناية المرء بنفسه عملا وروحا و بدنا لازمة له ليكون ذا أثر في الناس على منازلهم في القرب والبعد ،ومثل كلّ شعب من شعوب البشر لا يستطيع أن ينفع البشرية مادام مهملا مشتتا لا يهديه علم ولا يجمعه شعور بنفسه ولا بمقوّماته ولا بروابطه، وإنّما ينفع المجتمع الإنساني ويؤثر في سيره من كان من الشعوب قد شعر بنفسه، فنظر إلى ماضيه وحاله ومستقبله،فأخذ الأصول الثابتة من الماضي و أصلح من شأنه في الحال و مد يده لبناء المستقبل، يتناول من زمنه وأهم عصره ما يصلح لبنائه معرضا عمّالا حاجة له به".[2]

9- الاهتمام بتعليم اللغة العربية :

نظرا للعلاقة القوية القائمة بين اللّغة والدّين فإن ابن باديس أولى اهتماما كبيرا لتعليم اللّغة العربية، وهو يرى بأنّ خدمة اللّغة العربية هي خدمة للإسلام في نهاية الأمر، وأنّه لا يمكن الفصل بينهما بأية حال من الأحوال، ومن ثم أخذ العهد على نفسه قائلا :"إنّي أعاهدكم على أن أقضي بياضي على العربية والإسلام كما قضيت سوادي عليهما وإنّها لواجبات،و إنّي سأقصر حياتي على الإسلام والقرآن ولغة الإسلام والقرآن هذا عهدي إليكم".[3]

---

(1)- لخضر بن العربي عواريب- نظرات تربوية في المنهج الإصلاحي الباديسي- مجله العلوم الإنسانية والاجتماعية- العدد الأول-ديسمبر 2010- ص 231.

(2)- المرجع نفسه -ص 231.

(3)- المرجع نفسه – ص 231

ولذلك فلا غرابه أن يخصص رحمه الله مساحه كبيره لتعليم اللغة العربية في منها الدّراسي وأن يجعل لها النصيب الأوفر من الحجم الساعي. لا سيما إذا أخذنا بعين الاعتبار حالة الإقصاء الّتي كانت تعاني منها اللّغة العربية، وليس معنى هذا أنّ ابن باديس أهمل اللّغات الأجنبية وإنّما أكدّ عليها وحثّ على تعلّمها طبعا بعد التّمكن والإحاطة باللّغة الوطنية .

المبحث 3 : تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

تعدّ جمعيه العلماء المسلمين الجزائريين من أكثر الجمعيات الدّينية والثقافية الجزائرية شهرة، ذلك أنّ سمعتها في تاريخ الإصلاح و الثّقافة تعدّت الجزائر لتشمل العالم كلّه، ولذلك أسباب كثيرة لعلّ أهمّها هو اجتماع الكثير من العمالقة الكبار في الفكر والأدب والنشاط في وقت واحد وفي جمعية واحدة، ومنها الأهداف الكثيرة الّتي حملتها الجمعية في ظل واقع استعماري مليء بأصناف المعوّقات.[1]

وقد سبق تأسيس الجمعية محاولات عدّة لتأسيس جمعيات إصلاحية لكن لم يكتب لها النّجاح في ظلّ الظروف الاستعمارية و ذلك التضييق الّذي كان يلاقيه العلماء الإصلاحيون من قبل المحتل الغاشم، يشير إلى ذلك الشيخ البشير الإبراهيمي في قوله :"ومن الأعمال ما يكون الفشل فيه أجدى من النّجاح وهذا هو ما شاهدناه في تأسيس جمعية الإخاء العلمي، ولكن تلك المحاولات لم تذهب بلا أثر في الجمعيات العلمية الجزائرية حتّى كان من نتائجها بعد أعوام جمعية العلماء المسلمين، إنّنا نعرف بأن لأستاذنا الفاضل عبد الحميد ابن باديس ذوقا دقيقا في وضع الأسماء وصوغ العناوين، وأنّه يكاد يكون ملهما في هذا الباب،و نعرف أنّه اكتسب ذلك من أسلوبه التدريسي المبني على التحديد و الإحاطة و الدقة."[2].

لقد كان من المعقول أن يكون إسم الجمعية(الإصلاح الدّيني) ولكن المصلحين- هم أوّل من فكر في مشروع جمعية العلماء- لم يكونوا يقصدون من هذه الجمعية إلاّ غرضا واحدا هو جمع القوى الموزعة من العلماء على اختلاف حظوظهم في العلم لتتعاون على خدمة الدّين الإسلامي و اللّغة العربية و النّهوض بالأمّة الجزائرية من طريقها.

---

(1)-نور الدّين ابو لحية-(جمعية العلماء المسلمين والطرق الصّوفية و تاريخ العلاقة بينهما)- دراسة علمية- دار الانوار- الطبعة الثانية- 1437هـ-2016م- ص 25

(2)- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين-(سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)- دار المعرفة- 2008- د.ط- ص 53

1/ المرحلة التأسيسية للجمعية :

تعدّ المرحلة التأسيسية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أدق مراحلها التّاريخية حساسية، باعتبار الظروف الإستعمارية الّتي كانت تمرّ بها الجزائر حينئذ و باعتبار الواقع الدّيني الّذي كان يشكل فيه المحافظون نسبة أكبر بكثير من نسبة الإصلاحيين و باعتبارات أخرى كثيرة.

ومع ذلك، فلم يكن تأسيسها عجيبا، فقد كانت هناك عوامل كثيرة حفّفت من وطأة تلك الظروف القاسية،وقد أشار إلى بعض تلك العوامل الشيخ الإبراهيمي، الّذي عزاها إلى أربعة عوامل :

أوّلها : آثار دعوة الإمام محمد عبده الّتي تأثّر بها المصلحون الجزائريون، وكذا مؤلفات تلميذه الشيخ رشيد رضا الّتي كان لها الأثر القوي في إذكاء الحركة الإصلاحية في الجزائر، ومن ثم توحيد جهودهم تحت جمعيه واحدة.

ثانيها : الثورة التعليمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد ابن باديس بدروسه حيث كوّن عقولهم وشحذ عزائمهم و ربّى نفوسهم على وجه تتشوف به إلى كلّ دعوة تغيير المستقبل بقائد الدّين وشعار الإصلاح.

ثالثها : التطوّر الفكري الّذي طرأ على عقول النّاس من مخلفات و آثار الحرب العالمية الأولى.

رابعا : رجوع طائفة من المثقفين الجزائريين الّذين كانوا يعيشون في المشرق العربي ولا سيما في الحجاز والشام والّذين من أبرزهم الإبراهيمي و العقبي.[1]

(1)-نور الدّين أبو لحية- جمعية العلماء المسلمين والطرق الصّوفية وتاريخ العلاقة بينهما- مرجع سابق - ص 27

2-شرارة التأسيس :

في سنة 1930م قررت فرنسا إقامة احتفالات ضخمة بمناسبة مرور 100 عام على احتلالها للجزائر، و كان مقررا لها أن تستمرّ مدّة ستّة شهور وأنفق فيها 130 مليون فرنك فرنسي، وقد وضح أحد قادتهم القصد من هذه الإحتفالات بقوله :"إنّ احتفالنا اليوم ليس احتفالا بمرور مائة سنة على احتلالنا الجزائر، ولكنّه احتفال بتشييع جنازة الإسلام." لكن ابن باديس ورفاقه تصدوا لهذه الاحتفالات،يقول البشير الإبراهيمي :"استطعنا بدعايتنا السرية أن نفسد عليها كثيرا من برامجها، فلم تدم هذه الاحتفالات إلاّ شهرين، واستطعنا بدعايتنا العلنية أن نجمع الشعب الجزائري حولنا، ونلفت أنظاره إلينا."[1]

وكان الرد العملي على هذه الاحتفالات دعوة مجلة الشهاب لتأسيس، جمعية العلماء وفعلا تم تأسيس جمعية العلماء المسلمين في 05 مايو 1931م

3- ميلاد الجمعية :

تأسست جمعية العلماء المسلمين في اجتماع عقد في نادي الترقي بالعاصمة الجزائرية حضره سبعون عالما من مختلف مناطق الجزائر،و من شتي الاتجاهات الدّينية والمذهبية مالكيين و إباضيين، مصلحين و طرقيين، موظفين حكوميين وغير موظفين،وكان رئيس الإجتماع الشيخ أبو يعلى الزّواوي، ويحكي الشيخ خير الدّين أحد المؤسسين الّذين حضروا الجلسات العامة والخاصة لتأسيس الجمعية قصتها فيقول:"كنت أنا و الشيخ مبارك الميلي في مكتب ابن باديس بقسنطينة يوم دعا الشيخ أحد المصلحين(محمد عبابسة الأخضري) وطلب إليه أن يقوم بالدّعوة إلى تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في العاصمة وكلفه أن يختار ثلّة من جماعة نادي الترقي الّذين لا يثير ذكر أسمائهم شكوك الحكومة،أو مخاوف أصحاب الزوايا، وتتولى هذه الجماعة توجيه الدّعوة إلى العلماء لتأسيس الجمعية في نادي الترقي بالعاصمة حتّى يتمّ الاجتماع في هدوء و سلام،و تتحقّق الغاية المرجوة من نجاح التأسيس."[2]

---

(1)-أسامة شحادة- (العلامة عبد الحميد ابن باديس)-16 يناير 2013- البيان - www. albayan. Com

(2)- أسامة شحادة- العلاّمة عبد الحميد ابن باديس- مرجع سابق- ص 5.

وقد تخلف ابن باديس عن الحضور في أوّل يومين للاجتماع حتّى لا يستثير وجوده العلماء الرسميين أو الطرقيين،و فضل أن يستدعى في اليوم التالي على أن يكون داعيا للاجتماع، وفي هذا بعد نظر منه. وكان هناك مسوّدة لقانون الجمعية عرض في الاجتماع وتمّ إقراره، ومن ثمّ تمّ اختيار أعضاء مجلس الإدارة،حيث وقع الإختيار على ابن باديس ليرأسها رغم عدم حضوره،وهكذا ظهرت جمعية العلماء بحنكة ابن باديس وذكائه حيث تجنّب الإصطدام بإدارة الاحتلال وبالعلماء الموالين لها وبأصحاب الزوايا،وأيضا نصّ قانونها على تجنب العمل السّياسي،حتّى يطمئن السلطات الفرنسية أكثر،لكن الحقيقة كانت كما جاء في تقرير المتصرف الفرنسي لمدينة مزاله:"وعلى الرّغم من أنّها(الجمعية) تدعي أنّها لا سياسة فإنّها نواة للأحزاب الوطنية وقاعدة ينمو فوقها الشّعور الوطني".[1]

يعتبر العام الثاني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو ميلادها الحقيقي،حيث أصبحت الجمعية مقتصرة فقط على التيار الإصلاحي. و تم تقسيم الإشراف متابعة نشاطات الجمعية بين الشيخ الطيب العقبي الّذي تولّى الإشراف على نشاط الجمعية في العاصمة وما جاورها،و الشيخ البشير الإبراهيمي الّذي تولّى الإشراف على نشاطات الجهة الغربية من البلاد، انطلاقا من تلمسان، وبقيت قسنطينة و ما جاورها تحت إشراف ابن باديس.

4-جمعية العلماء في عهد ابن باديس وأهم منجزاتها :

بعد تأسيس الجمعية، وبروز خطها الإصلاحي الجهادي، استدعى الوالي العام (ميرانت) بقسنطينة الشيخ ابن باديس و والده مصطفى بن باديس، وعرض على الشيخ أن يختار لنفسه أية وظيفة يرغب فيها على شرط واحد هو أن يتخلّى عن رئاسة الجمعية،و أمام هذا الإقتراح تأجج شعور الإمام ضدّ الوالي،و حاول الرد عليه، لولا وقوف والده وبكائه وإلحاحه عليه بقبول العرض بسبب أن الأسرة مقبلة على الإفلاس،فطلب فرصة قصيرة للتفكير والاستخارة حتى الصباح الموالي.

(1)- المرجع السابق نفسه - ص 6

وفي اليوم الموالي كتب ابن باديس جوابه قائلا فيه:"أقتل أسيرك يا ميرانت،أما أنا فمانع جاري! أقتل يا ميرانت مصطفى بن باديس،و أقتل معه عبد الحميد ابن باديس، واقض على كل أسرة ابن باديس، إن منحك الله هذه القدرة،ولكنّك لن تصل أبدا إلى قتل جمعية العلماء بيدي،لأنّ جمعية العلماء ليس جمعية عبد الحميد ابن باديس، وإنّما هي جمعية الأمّة الجزائرية المسلمة، وما أنا فيها إلاّ واحد، أتصرف باسم الأمّة كلّها،ومحال أن أتصرف تصرّفا أو أقف موقفا يكون فيه قتل الجمعية على يدي، أقول هذا، وحسبي الله ونعم الوكيل."[1].

فكان باستطاعة الإمام أخذ المنصب المقترح عليه و تعيين أي نائب متكل عليه في ترأس منصب رئيس الجمعية، غير أنّ هذه الرواية تبرز لنا شخصية ابن باديس القوية و الشامخة الّتي أكسبت الجمعية مكانتها المرموقة في الوطن بل وحتّى خارجه.

4 -1استبعاد المحافظين من الجمعية :

والّذين يشملون رجال الطرق الصوفية، الّذين كانوا يشكلّون جزءا مهما من الجمعية عند تأسيسها فقد ذكر محمد الصالح آيت علجت ما حدث في ذلك اليوم وأسبابه قائلا :"كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تضم اتجاهين في تشكيلتها، المحافظوُن والإصلاحيين: المحافظون هم المنتمون إلى شيوخ الزوايا والمرابطون والعلماء الّذين لم يتأثروا بالحركة النجدية الوهابية الّتي كان للكثير من علماء الاتجاه الإصلاحي اتّصال بها حين وجودهم في الحجاز كالشيوخ السادة:ابن باديس و العقبي والإبراهيمي،زعماء حركة التجديد الذي لم يقبله العلماء المحافظون،فكانت بين الاتجاهين هجومات متبادلة عبر التجمعات والندوات وفي الصحف،و بإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931م،إلتزم الفريقان بالكف عن النزاع والمجادلة في المسائل الخلافية وإحلال الوئام والصفاء اللّذين لم يستمرّا أكثر من سنة لتعود تلك الصراعات المذهبية والخوض في الجزئيات والبحث عن الأسباب المثيرة للجدل بين الفريقين ما جعل الخلاف بينهما يستفحل ويليه استدعاء الشيخ عبد الحميد ابن باديس للشرطة للتدخل على إثر الإنقسام العلني الذي حدث في جلسة الجمعية بتاريخ 24 ماي 1932 م ليخرج المحافظون على إثر هذا الإجتماع من الجمعية (2) .

---

(1)- نور الدّين أبو لحية-(جمعية العلماء المسلمين الطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما)- ص 46

(2)- نور الدّين أبو لحية- جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية- مرجع سابق- ص 49.

2-4 المؤتمر الإسلامي :

يعتبر حضور المؤتمر من أهم الأنشطة الّتي قامت بها الجمعية، والّتي لقيت في نفس الوقت جَدَلاً في مدى جدواها وتأثيرها. و قصة هذا المؤتمر هي أنّه في عام 1936م لوحت فرنسا للجزائريين بمشروع (بلوم فيوليت) الّذي ينتقد السياسة الفرنسية السّابقة، وفي مقترحات المشروع : إصلاح مستوى التعليم،تأمين نفس الحقوق الّتي للفرنسيين لبعض الجزائريين،إلغاء المحاكم الخاصّة بالجزائريين، فبينما عارض المستوطنون معارضة شديدة هذه الإصلاحات بل رفضوا مجرّد التّفكير في منح الشعب الجزائري أبسط الحقوق، ذهب أعضاء النخبة الجزائرية في اتّجاه المطالبة بالمساواة في بعض الحقوق كالتمثيل والانتخاب وفي مقابل هؤلاء نحفظ أعضاء حزب النّجم على سياسة الجبهة الشعبية، وأبدوا مخاوفهم من نتائجها على مستقبل الجزائر.[1]

بين هذه المواقف رأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أن تقف موقفا وسطاء وفي نفس الوقت لم ترفض التعامل معها وبناء على هذا دعت إلى انعقاد هذا المؤتمر لجمع كلمة الأمة وتوحيد صفوفها حول المسألة الوطنية والتصدي لما يخطط له المحتلون ، ويقوم به بعض الجزائريين تنفيذًا لمخططات السلطة من ترويج لسياسة التغريب ، ونشر أفكار الاندماج ، والتساهل في شأن الذاتية [2].

(1)- المرجع السابق نفسه- ص 52.

(2)- عمّار الطّالبي – آثار ابن باديس – جزء 4 – مرجع سابق ص 118

5- سير الجمعية وأعمالها وملخص قراراتها :

سارت جمعية العلماء سيرا حثيثا وتقدمت بما بدل من جهد أعضائها العاملين ومجلس إدارتها شوطا بعيدا،فقد قامت وفود الوعظ والإرشاد من رجالها برحلات وجولات متعددة في الثلاث العمالات من القطر كلّه،و أسست لها شعبا في كثير من النّواحي والبلاد الّتي لم تكن سبق لها تأسيس شعب بها كما تعهدت الشعب القديمة بالتنظيم والإصلاح، ونشرت الدعاية بكل وسائلها الممكنة لاجتماعها العام، وكان هذا الاجتماع الّذي حضرت له وأعدت له عدتها الكاملة في هذه المرة من أبهر اجتماعاتها و أعظم مؤتمراتها بل كان أجملها روعة وجلالا، وقرّرت على إثره إذاعة كل ما تمكن إذاعته من كلّ ما وقع بهذا الاجتماع تعميما للفائدة و أداء لواجب العموم، واقترحت لذلك إصدار نشرة خاصة بهذا الشأن، كما قرّرت مراجعة الحكومة في الحصول على الإذن لإصدار جريدتها البصائر وقرّرت لها ميزانيتها الخاصة وأسندت لها إدارة شؤونها و رئاسة تحريرها للطيب العقبي وعينت أن يكون صدورها بعاصمة الجزائر لا قسنطينة.[1].

انعقد المجلس الإداري لجمعية العلماء بنادي الترقي الجزائري بتاريخ 14 صفر1355هـ الموافق ل 6 ماي 1936م فقرّر قرارات كلف الكاتب العام للجمعية بأن ينشر منها ما يهم الأمّة عامة و الجمعية خاصة . وأهم القرارات هي :

القرار الأول:نشر بجريدة الجمعية كلّ قرار يرى المجلس نشره وذلك إذا تضمن أمرا يهم الأمّة الاطلاع عليه.

القرار الثاني:على كلّ طالب للفتوى في المسائل الدّينية أن يرسل بفتواه إلى رئيس جمعية بقسنطينة ليتولى إفتاء المسائل بنفسه أو يحيل الفتوى إلى أحد العلماء الّذين يراهم مقتدرين على الفتوى ليفتي في المسالة.

القرار الثالث :إرسال متفقدين إلى الجهات الّتي بها شعب الجمعية ليقوموا بأمور كالوعظ والإرشاد ودعوه الأمّة إلى العلم و تأسيس المؤسسات العلمية وغيرها من الأعمال.[2]

---

(1)- الفتى الزواوي- سير الجمعية وإعمالها-مجلة البصائر -العدد الأول- أسبوعية- الجمعة 1 شوال1354هـ 27 ديسمبر 1935م- الجزائر- ص 8

(2)- مبارك الميلي- ملخص قرارات الجلسة الإدارية الأخيرة لجمعيه العلماء المسلمين الجزائريين- البصائر- العدد 20 –أسبوعيه- الجمعة 1 ربيع الأول 1355هـ 20 ماي 1936م- الجزائر-ص 3.

6- القانون الأساسي للجمعية :

القانون الأساسي كان معدّا من قبل، هذا ما صرّح به الشيخ الإبراهيمي في قوله :"فأعلنا تأسيس الجمعية في شهر مايو بعد أن أحضرنا لها قانونا أساسيا مختصرا من وضعي أدرته على قواعد من العلم والدّين لا تثير شكا ولا تخفيف".[1] ولعلّ الإبراهيمي يقصد أنّ القانون الأساسي صيغ بحيث لا يثير شك ولا خوف الإدارة ولا الطرقيين ويتضمن القانون الأساسي المواد التالية :

أولا : الفصل الثالث من القسم الأول :"لا يسوغ لهذه الجمعية بحال من الأحوال أن تخوض أو تتدخل في المشاكل السياسية".

ثانيا : الفصل الرّابع من القسم الثاني :"القصد من هذه الجمعية هو محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر و الميسر و البطالة و الجهل و كلّ ما يحرمه الشّرع و ينكره العقل."

ثالثا : الفصل السادس :" للجمعية أن تأسس شعبا في القطر أو أن تفتح نوادي ومكاتب حرّة للتعليم الابتدائي."

فالجمعية من خلال هذه المواد تعدّ امتداداً للحركة الإصلاحية الّتي بدأت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى وقويت واشتدّ ساعدها منذ تأسيس صحيفة المنتقد ولكن هناك اختلاف ظاهري وهو أنّ الصحف الإصلاحية قبل تأسيس الجمعية كانت تطرق جميع المواضيع السياسية أو الدّينية أو غيرها بينما ابتعدت صحف الجمعية بعد تأسيسها عن المواجهة مع السلطات الفرنسية[2].

7- مواقف الجمعية :

7-1 / موقف جمعية العلماء المسلمين من الطرق :

"لما تأسست جمعية العلماء لم يزيدوا ولم ينقصوا منها،لأنّ هؤلاء المصلحين لا يعملون مسالمين و محاربين عقيدتهم في الطرق هي أنّها علة العلل في الإفساد ومنبع شرور

---

(1)- مازن صلاح حامد مطبقاني- جمعية(العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية- الماجستير- قسم التاريخ -كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعه الملك عبد العزيز-(1404- 1405- 1931- 1936). - ص 66

(2)- المرجع نفسه - ص 70

وأن كل ما هو متفش في الأمّة من ابتداع في الدّين،وضلال في العقيدة، وجهل بكلّ شيء، وغفلة عن الحياة وإلحاد في الناشئة، فمنشؤه من الطرق، ومرجعه إليها... وأنّ هذه الطرق المبتدعة في الإسلام هي سبب تفرق المسلمين، لا يستطيع عاقل سلم منها ولم يبتل بأوهامها أن يكابر في هذا أو يدفعه، وإنّها السّبب الأكبر في ضلالهم في الدين والدنيا وأن أثارها تختلف في القوة والضعف اختلافا يسيرا باختلاف الأقطار... وحين نقاومها نقاوم كلّ شر وحين نقضي عليها نقضي على كل باطل ومنكر وضلال."[1] فجمعية العلماء لم تنفق أوقاتها كلها ولم توجه قواتها بأجمعها إلى هذه الجهة فقط بل إنّ للجمعية برنامجا إصلاحيا عمليا حكيما، وهي موزعة أعمالها على فصوله، معطية عن كل فصل ما يستحقه واقفة في كلّ عمل عندما يتهيأ لها من رسائله لو لم تصادمها العقبات المتنوعة ولا العوائق المتكررة، لسارت في جميع فروع الإصلاح الّتي يشملها برنامجها سيرا ناجحا.

7-2/ موقف الجمعية من التعليم :

إن موقف جمعية العلماء المسلمين من التعليم العربي و الدّيني هو أبرز مواقفها فقد كان التّعليم الحر يدور في دائرة ضيقة من أمكنته وأساليبه وكتبه، فسعت الجمعية بما استطاعت من أسباب توسيع دائرة الأمكنة بإحداث مكاتب حرة للتّعليم المكتبي للصغار،و بتنظيم دروس في الوعظ والإرشاد الدّيني في المساجد،و بتنظيم محاضرات في التهذيب و شؤون الحياة العامة في النوادي فنجحت في مساعيها في هذا الباب نجاحا عظيما، وأثمرت أعمالها إثمارا نافعا .[2]

7-3 / موقف الجمعية من البدع والخرافات العامة :

وقفت جمعية العلماء المسلمين من البدع العامة و الشعائر المستحدثة كبدع المساجد و بدع الجنائز، بدع المقابر،و بدع الحج ،و بدع الإستسقاء و بدع ا النذور، كما وقفت من بدع الطرق وضلالات الطرق وقفه المنكرالمشتدّ الّذي لا يخشى في الحق لومة لائم وكان في أعمال أعضائها أسوة حسنة للناس وشعارها في هذا الباب أن كل محدثه في الدّين بدعة، وكل بدعة ضلالة.[3]

---

(1)- جمعيه العلماء المسلمين الجزائريين- سجل مؤتمر جمعيه العلماء المسلمين الجزائريين- ص 60.

(2)- المرجع نفسه-ص 61

(3)- المرجع السابق- ص 65

8- جمعيه العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الإصلاح :

لكل أمّة علماؤها و مثقّفوها ومفكّروها و أدباؤها الّذين يحملون على عواتقهم مهمة تعليم النّاس، و تربية النشىء، ورسم معالم الطّريق ، من أجل بعث أمجادها ،وبث الرّوح فيها من جديد، بعد أمد من الجمود والركود المفروضين عليها. هذه المهمّة النّبيلة باشرها منذ العشرينيات من القرن الماضي ذلك الرّعيل الأوّل من روّاد الحركة الإصلاحية أمثال ابن باديس والإبراهيمي، و الطيب العقبي، مبارك الميلي، العربي التبسي، أحمد توفيق المدني،و غيرهم ممّن أدركوا بأنّ الوقت قد حان للنهوض بعملية التنوير التي هي أساس التغيير المنشود. فجاء تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ليضع حدا فاصلا وحاسما بين ماضي الجزائر، وهي تحت النير الإستعماري، وبين حاضرها الّذي أشرف زاهيا في ميدان النهضة الإسلامية العربية. ولقد كان ذلك الحاضر الجديد هو الأساس الرّاسخ المتين الّذي بني عليه المستقبل، مستقبل الجزائر تحت راية الحرية والاستقلال.[1] وأراد رواد الجمعية تحقيق غايتين كان لهما الوقع العظيم على مصير الأمة وهما :

1)-تنقية الدّين الإسلامي مما شابه من خرافات وبدع بسبب المخطّط الصليبي الّذي بذل كلّ جهده لإطفاء جذوة النور الإلهي في ربوع الوطن.

2)-بعث اللغة العربية بعد أن وأدها الاحتلال على مر أكثر من قرن من الإذلال ويظهر هذا جليا في الخطاب الّذي ألقاه الشيخ البشير الإبراهيمي في اجتماع الجمعية العام حيث يقول :"إن جمعيتكم هذه أسست لغايتين شريفتين، لهما في قلب كل عربي مسلم بهذا الوطن مكانة لا تساويها مكانة وهما إحياء مجد الدّين الإسلامي و إحياء مجد اللغة العربية".[2]

ومن أجل تحقيق هاتين الغايتين، سعت الجمعية إلى تعليم الكبار الدّين الصحيح واللغة العربية في المساجد،و الصّغار ذكورا و إناثا في المدارس،و الشباب في النوادي، سعيا منها إلى تخريج دعاة

---

(1)- أحلام بلولي- بلاغ اللغة في أدب المقال الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي(عيون البصائر نموذجا) –الماجستير- قسم اللغة والأدب العربي- كليه الآداب واللغات -جامعه العقيد أكلي محند أولحاج- 2013/ 2014- ص 15

(2)- المرجع نفسه- ص 16

متمرسين واعين يأخذون على عاتقهم مهمّة نشر رسالة الإصلاح في كلّ أنحاء الجزائر، من أجل دفعهم و تحضيرهم لأمنية العزيزة ألا وهي الاستقلال فحققوا أعمالا مجيدة للشعب، نذكر بعضا منها : أسست في فترة لا تتجاوز العقدين من الزمن نحو مئة وخمسين من المدارس الابتدائية لتعليم اللغة العربية والدّين الإسلامي. بنت الكثير من المساجد في أنحاء القطر، لأداء الشعائر وإلقاء الدّروس الدّينية، وكانت السلطات الفرنسية تنظر بعين الريبة إلى هذه المساجد، وتترصد كلّ شاردة وواردة فيها لأنّها كانت تعدّها حصونا مسلحة وليست أماكن للعبادة فقط.

إنشاء العشرات من النوادي في مدن الجزائر وحتى في مدن فرنسا تلقى عليهم فيها المحاضرات العلميه والدّينية والاجتماعية....[1]

ولم تقف جمعية العلماء عند حدود القضايا الوطنية، رغم الظروف القاهرة التي كانت تحيط بها ومحدودية وسائلها، بل عنت بقضايا الأمّة المصيرية كقضية تحرير فلسطين من اليهود، و مصر من الانجليز وهذا خير دليل على رؤية العلماء الواسعة وبعدهم القومي لقد سعت الجمعية لتحقيق تلك البنود بكلّ ما أوتيت من قوّة وحكمة، مصرة على النجاح والتوفيق ما أمكن لها ذلك وهي في ذلك ترتكز على الكتاب والسنّة، لأنّهما أساس عملها.

(1)- المرجع السابق- ص 17

الفصل الثاني

التّجديد عند الشيخ ابن باديس

الفصل الثاني: التجديد عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس

إنّ الشيخ الّذي كرّس أكثر من ربع قرن كامل من حياته للقرآن، استطاع أن يستوعب الواقع الجزائري بكلّ سلبياته ومكوّناته كما استوعب واقع الأمّة الإسلامية بشفافية روحية خاصّة وبطريقة فهم أصيلة ومتفرّدة ولم يغب عنه لحظة واحدة أن صلاح هذه الأمة مرهون بالمنهج الّذي صلح به أولها لذا أقام مشروعه على دعائم ثلاثة :

- إصلاح التعليم .
- إصلاح العقائد.
- إصلاح الأخلاق حيث صوب اهتمامه نحو التعليم من أجل القضاء على الجهل أولا وتصحيح العقائد ثانيا [1].

"فالإنسانية وهي تسعى جاهدة لتحصيل وتحقيق السعادة يجب أن تعي بأن سبيل ذلك هو العلم [2].

(1)- محمد بن سمنية – النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر – مؤثراتها، بدايتها ، مراحلها- مطبعة الكاهنة – الجزائر-2003- ص52.

(2) – محمد الدراجي – الحركة الإصلاحية في الجزائر- رجال وأفكار – دار قرطبة – الجزائر - 2008 – ط1- ص45.

المبحث الأول : شمولية الرؤية والطرح

إن ابن باديس صاحب مذهب فلسفي كبير، من حيث إنّ طبيعة المذهب الشمول، وكلما كان أكثر شمولاً، كان أشد قوّة وأكثر أثرًا وأبعاد الإصلاح ووسائله مرتبطة بظروف المجتمع الجزائري آنذاك وطبيعته المتمثلة في العروبة والإسلام.

1- البعد الديني : (مقاومة الطرقية المنحرفة)

اتّسم عصر ابن باديس بسيطرة الطرقية على الفكر الإسلامي سيطرة مذهلة فأدّت إلى تعطيله وشلّ جميع الطاقات الإجتماعية الأخرى – ولا نقصد هنا جميع الطرق الصوفية – بل نقصد أصحاب الطروحات المشلة للفكر المخدرة للعقل ، الخادمة للاستعمار (1).

ومن بين طروحاتهم التي كانت متغلغلة وسط المجتمع بمختلف فئاته :

– الآخرة لنا والدنيا للكفار" نأكل القوت وننسى الموت"

– الله قدر علينا الإستعمار الفرنسي فلا تجوز مقاومته (2).

– صلاة الفاتح أتى بها الملك صاحب إحدى الطرق (التجانية) مكتوبة في صحيفة من نور (3) وهي من كلام الله القديم، والمرة الواحدة من ذكرها تعدل ستة آلاف ختمة من القرآن الكريم ومن كل تسبيح في الكون، بل هي أفضل من مجموع من الأذكار والأدعية والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم لمدة مائة ألف عام بعدد مائة ألف مرة في اليوم، وخاصيتها أمر إلهي لا دخل للعقول فيه

---

(1) – عمار طالبي – ابن باديس حياته وآثاره – دار الامة- الجزء الأول من المجلد الأول – 2009- الجزائر- ص18.

(2) – أبو القاسم سعد الله – الحركة الوطنية – الطبعة الأولى -1992 م – الجزائر ج1 – ص276.

(3) – أحمد التجاني الشنقيطي – الفتوحات الربانية في الطريقة الاحمدية التجانية – د- ط- دار الكتاب – المغرب – د ت – ص 79.

ولقد بلغ الأمر ببعض رجال إحدى الطرق الصّوفية محاولة إغتيال الشيخ عبد الحميد ابن باديس.

هذه النماذج من الطروحات الطرقية إن هي إلاّ تخدير للعقل المسلم وتجهيله وجعل المسلمين وبلدانهم مطية للإستعمار، وإبعاد الإنسان المسلم عن الإسلام وعن الحقيقة القرآنية، وهو ما جعل ابن باديس وجمعية العلماء المسلمين ينورون العقول بخطورة هذا، ويدعون الناس إلى الإسلام الحقيقي بواسطة التّعليم والصحافة والدّروس المسجدية والخطب في الأندية والتأليف ومناظرة رجال تلك الطرق.

وقد تمكن ابن باديس وجمعية العلماء من إحداث نهضة علمية ودينية، وعملوا على توحيد الفكر في مختلف أرجاء الجزائر بعد أن مزقته تلك الطرق بالصراعات بين أتباع شيوخها المتصارعين.

2- البعد الاجتماعي:

تعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أكثر الحركات المنخرطة في الحياة الاجتماعية والمتأثرة بالمحيط الّذي حولها وهذا راجع إلى طبيعة عملها الّذي لا يبتعد عن الميدان الاجتماعي. وما كان يميّز الجمعية في عملها وعلى اعتبار أنّها حركة دينية هو تمسكها بالطّابع الدّيني في تحليلاتها للقضايا الاجتماعية، لان العلماء كانوا يطمحون إلى إقامة المدنية الإسلامية في الجزائر أي تنظيمها وفق مبادىء الدّين الإسلامي[1].

إن ارتباط الجمعية بهذه المبادىء الدّينية السلفية لا ينفي عنها مراعاتها لضرورة الحياة المعاصرة وهذا ما أكدّت عليه في عملها باعتبار الإسلام لا يناقض المدنية والتقدّم.

(1)- زعيمي مراد – علم الإجتماع رؤية نقدية – مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية- ب ط – ب ت- الجزائر – ص 365.

كانت الجمعية تكتفي في نشاطاتها بالمعطيات العملية المتعلقة بالمجتمع الجزائري بالدرجة الأولى، وهذا راجع إلى طبيعتها كحركة دينية وثقافية وإلى طبيعة التكوين الثقافي الّذي تلقاه علماؤها وممثلوها بالإضافة إلى قلة المعلومات المتوصل إليها حول القضايا المطروحة مع غموضها في الغالب، ممّا جعل العلماء يشعرون بأنّهم غير معنيين مباشرة بما يحرك الرأي العام في البلدان الاوروبية (1).

إلاّ أنّ هذا لم يمنعها من إظهار مواقفها حيال بعض المشاكل الّتي كانت تشدّ الإنتباه العام أنذاك.
كان الشّعب الجزائري مابين العشّرينات والأربعينات شبه منفلت من عصره ومشبع بالأفكار البالية في مجال العلم والإقتصاد والتبادلات الإجتماعية، ويعدّ السبب الرئيسي لهذه الحالة قانون الأهالي الرهيب الّذي حال دون تزود الإصلاحيين بما ينبغي من المادة العلمية والمعرفية الكافية الّتي تمكنهم من تحقيق رؤية واضحة للمشاكل الطارئة ومن ثمّ فقد كان ملجأهم الوحيد هو التّقيد بالمفهوم السلفي للإصلاح الدّيني وانحصر أملهم فيه، فكانوا يرون بأنّ العودة إلى الإسلام الصحيح هو الحلّ الوحيد لكافة المشاكل التي تعترض حياة الإنسان(2).

لقد وجهت الجمعية جزءاً كبيرًا من نشاطاتها وأعمالها التربوية والإجتماعية إلى فئة الشباب الجزائري بالدّرجة الأولى، ولقد ظهرت نشاطاتها بأشكال مختلفة بالإضافة إلى المساجد والمدارس الحرّة الّتي أنشأتها هناك نشاطات أخرى وتتمثل في إنشاء النوادي الثقافية والحركات الكشفية التي تهدف إلى تربية الشباب تربية دينية وإجتماعية ووطنية.

---

(1)- أحمد الخطيب – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر – المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر – 1985- ص 223.

(2) – المرجع نفسه – ص 223.

يصف ابن باديس التحولات الّتي طرأت على هذه الفئة بعد تكون الجمعية وبداية نشاطاتها المختلفة الّتي كان للشباب فيها حظ كبير إذ يقول : " أما اليوم فقد تأسّست في الوطن كلة جمعيات ومدارس ونوادي باسم الشباب والشبيبة ولا نجد شابا إلاّ نادرا إلاّ وهو منخرط في مؤسّسة من تلك المؤسّسات وشعار الجميع فيها الإسلام ، العروبة، الجزائر"(1).

وبهذا يلخص لنا ابن باديس عمل الجمعية تجاه هذه الفئة بمحاربة الجهل فيهم والفراغ ومحاربة الفرنسة الّتي تنجم عنه.

3- البعد الفكري:

إنّ الجزائر كلّها بمدنها وقراها، بشرقها وغربها، كانت رفيقة ضمير ابن باديس ومحط رحال نشاطه، ففي محاضرة له بعنوان " لمن أعيش " وعندما شعر أنّ عليه أن يوضح هدفه من حياته كلّها سأل نفسه السّؤال الإفتراضي التّالي:" لمن أعيش أنا "، فجاءت إجابته حازمة وقوية : أعيش للإسلام والجزائر" (2). وحقيقة ما كان أحد يستطيع تكذيب ابن باديس فهو وحده الّذي يعلم كيف يجرؤ على أن يحشد الأمّة وراءه للمطالبة بحقوقها الوطنية والتمسك بعروبتها وإسلامها.

واتخذت اللّغة العربية حيّزا كبيرًا من اهتمامات الشيخ عبد الحميد ابن باديس في الإصلاح والنهضة، بل أنّه قد عدها رابطة تربط السلف بخلفه بقوله: " لا رابطة تربط ماضينا المجيد بحاضرنا الأعز والمستقبل السعيد إلا هذا الحبل المتين، اللّغة العربية، لغة الدّين، لغة الجنس، لغة القومية، لغة الوطنية المغروسة، إنّها وحدة الرابطة بيننا وبين ماضينا، وبها يقيس من يأتي من بعدنا من أبنائنا وأحفادنا العز الميامين أرواحهم بأرواحنا، وهي وحدها اللسان الذي نعتز به، وهي الترجمان عما في القلب من عقائد وما في العقل من أفكار، وما في النّفس من آلام وآمال.

---

(1)- زعيمي مراد – علم الإجتماع رؤية نقدية – مرجع سابق – ص 377.

(2) – محمد الميلي – ابن باديس وعروبة الجزائر – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – 1973- الجزائر – ص 170.

إن هذا اللّسان العربي العزيز الذي خدم الذّي خدم الدّين وخدم العلم وخدم الإنسان، هو الّذي نتحدث عن محاسنه منذ زمان، ونعمل لإحيائه منذ سنين"(1).

وابن باديس لا يقف عند هذا الحد، بل هو يشددّ على أنّ اللّغة العربية هي لسان الأمّة الجزائرية كلّها، فلا غرابة في أن يركّز جهده على إحيائها ونشرها في الجزائر بعد أن سعى الإستعمار إلى حرمان الشعب الجزائري من تعليمها في المدارس التي يشرف عليها.

لقد أخذت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على عاتقها مهمة تعليم اللغة العربية ومواجهة محاولات وأدِهَا ودفن حضارتها العربية، فكان عملها محلّ جاذبية ونجاح فعلي، إذ استندت على مبدأ أساسي هو أن " الجزائر بلادي، والإسلام ديني، والعربية لغتي "(2).

ولقد اهتمّ ابن باديس بالجانب التربوي، فسخّر له سبع وعشرين سنة كاملة للتربية والتّعليم، فاتّخذ التربية وسيلة للإصلاح الثقافي والاجتماعي والسياسي، فالإصلاح في نظره يبدأ من تطهير القلوب وتغيير النّفوس بالتّقوى ممّا يؤدّي إلى تغيير المؤسسات الاجتماعية، وعامل التّغيير الدّاخلي هو التربية،

ولن يصلح التّعليم في نظره إلاّ إذا رجعنا به إلى التّعليم النبوي في شكله ومضمونه ومن أهداف التربية عنده :

- كمال الحياة الفردية والاجتماعية ، والمثال الكامل لذلك هو محمّد صلى الله عليه وسلم.

- النهضة الحضارية الشاملة الّتي تبدأ بتكوين الإنسان وربط أفراد المجتمع في شبكة من العلاقات

---

(1) – عبد الحميد ابن باديس – كلمة مرة لأنها صريح الحق ولباب الواقع – مجلة الشهاب شهرية – 1937 – الجزائر – جزء9 مجلد13 – ص65.

(2) – احمد الخطيب – الثورة الجزائرية – دار العلم للملايين – 1958– بيروت – ص122

الاجتماعية لتحقيق هدف مشترك: " إنّما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إذا كانت لهم قوّة ، وإنما تكون لهم قوّة إذا كانت لهم جماعة منظمة تفكر وتدبر وتتشاور وتتآزر"(1)، ممّا يعني أنّ العمل التربوي يهدف إلى إعداد هؤلاء الرجال ، وحدّد هدفه في ذلك بدّقة فيقول:

" فإنّنا نربّي – والحمد لله– تلامذتنا على القرآن ، ونوجه نفوسهم إلى القرآن من أوّل يوم وفي كلّ يوم، وغايتنا الّتي ستتحقق أن يكوّن القرآن منهم رجالاً كرجال سلفهم وعلى هؤلاء الرّجال القرآنيين تعلق هذه الأمّة آمالها، وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها"(2).

وهكذا سخر ابن باديس كلّ حياته لتحقيق التغيير المنشود، يصرّح بذلك فيقول:

" إنّي أعاهدكم على إني أقضي بياضي على العربية والإسلام كما قضيت سوادي عليهما وإنّها لواجبات، وإني سأقصر حياتي على الإسلام والقرآن، ولغة الإسلام والقرآن وهذا عهدي لكم.."(3).

وفي قول آخر له : " أطلب منكم شيئًا واحدا هو أن تموتوا على الإسلام والقرآن، ولغة الإسلام والقرآن"(4).

---

(1) – عمار طالبي ، آثار بن باديس – مرجع سابق – ص101.

(2) – المرجع نفسه – ص 107.

(3) – عبد الحميد بن باديس – البصائر – العدد 7، مجلد 15 – أسبوعية رجب 1358ﻫ / أوت 1939 م – ص 346.

(4) – عمار طالبي – آثار ابن باديس – ص 121.

المبحث الثاني : التجديد في الإصلاح الديني:

ترتبط الحركات الإصلاحية الدّينية ارتباطًا مباشرًا بالدّين فهو الموجه الأساسي لحركة التّغيير الّتي تسعى للقيام بها، ومن ثم يمثّل الدّين دورًا مهمًا جدًّا في التّغيير وذلك بما يتضمنه من أفكار تساعد الحركة الإصلاحية على صوغ الرّموز الّتي تقوم عليها لتوفر الفهم والأجوبة في مشاكل النّاس.

والتجديد في الدّين " لا يعني تغيير أسسه أو التصرف في أحكامه، وتجديد شيء ما لا يعني إزالته واستحداث شيء آخر مكانه، بل تجديده يعني إعادته أقرب ما يكون إلى صورته الأولى يوم ظهر لأوّل مرّة، والمحافظة كلّ المحافظة على جوهره وخصائصه ومعالمه وعدم المساس بها"(1).

فالتجديد يعدّ السّبيل لإمتداد تأثيرات الدّين الكامل وثوابته وأصوله إلى الميادين الجديدة والأمور المستجدّة.

إنّ عملية الإصلاح والتّجديد تنطلق من الدّين وتهدف إلى تغيير حالة الأمّة من وضعها المَرَضي الّذي تشوبه الإنحرافات والبدع والتخلف والجهل والانحطاط إلى وضع يكون فيها المؤمن سليم في عقيدته ملتزم في العمل بأحكامها. ومنه يثبت أن التجديد هو: " أحد أساسيات الإصلاح الدّيني، ويتحدد التجديد في ثلاث محاور لا يستغني عنها أي مصلح في خوض غمار معترك حركته الإصلاحية ألا وهي : فهم له، عمل به، والمحافظة عليه." (2).

لقد كان من منطلقات أعمال الشيخ ابن باديس إرجاع فعالية العقيدة الإسلامية عن طريق تجديدها في نفوس الجزائريين معتمدة في ذلك على عدة عناصر من بينها:

1- محاربة البدع والخرافات:

قامت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في محاربتها للخرافات والأباطيل الّتي كانت تعج بها العقيدة الإسلامية في المجتمع الجزائري على مبدأ أساسي جاء به المصلح محمد عبده في حركته الإصلاحية

---

(1) – يوسف القرضاوي – أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة – (د- ط) – (د- ت) – ص100.

(2)- سعاد سطحي –"التأصيل الديني لمصطلحي الإصلاح والتجديد"- مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الاديان – العدد الثالث- الجزء الثالث – مخبر البحث في الدراسات العقدية ومقارنة الاديان -1427-2006 - ص19.

إذ يقول: " إنّ الإصلاح ينبغي أن يبدأ من الدّين بتنقيته من الخرافات والبدع التي طمست على عقول المسلمين وكانت سببا في تأخرهم حتى أصبحوا سخرية الأمم الأجنبية"(1).

وكانت مهمتها في قيامها بالتطهير عن طريق الرجوع بالجزائريين إلى الأصول الأولى للدّين الإسلامي: الكتاب والسنة وإعادة ربط الجزائريين بدينهم، ورسم نهضتهم، وهذا بمقتضى استعاب الجزائريين عقيدة الإسلام وفهمها فهما صحيحًا خاليا من شوائب الشرك والأباطيل.

كان من مواد دستور الجمعية الّتي تأسست عليه، والّذي راعت فيه بدقة الواقع الجزائري الّذي كان مليئًا بالسّلوكات الشركية، التوحيد الّذي يعدّ أساس الدّين وقد جاء في أصول دعوتها ما نصه :

" فكل شرك في الإعتقاد أوفي القول، أوفي العمل فهو باطل، بناء القباب على القبور ووفد السرج عليها، والذبح عندها لأجلها والاستغاثة بأهلها ، ضلال من أعمال الجاهلية"(2).

وبفضل ثباتها في الدّعوة تمكّنت من توعية النّاس الّذين أخذوا يتخلون عن عادات كانوا يعتقدون أنّها من صلب الدّين، كزيارة الأضرحة والتوسل بأصحابها وإلى ما هناك من بدع تمكّن رجال الإصلاح من فرزها وتضييق نطاقها(3).

وبهذا جاء تأكيد الجمعية على ضرورة العقيدة في الإصلاح الاجتماعي وأنّه لا مخرج للمجتمع من حالة الضعف الّتي هو عليها إلاّ بتمسكه بعقيدته بعد إصلاحها.

---

(1) – زرمان محمد – فلسفة التجديد الإسلامي (نموذج الشيخ البشير الإبراهيمي) – دار الصحوة – القاهرة-1419هـ - 1999م – ص 38.

(2)- آثار الإمام عبد الحميد ابن باديس – ج5 – ج3 – مطبوعات وزارة الشؤون الدينية – الطبعة 1- 1412- 1991م –الجزائر- ص 155.

(3)- محمد الخطيب – الثورة الجزائرية – مرجع سابق – ص 178.

2- الوقوف في وجه الطرقيين الرجعيين:

لقد توصّل الشيخان عبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي سنة 1913م من خلال تشخيصهما لحالة الجزائر الاجتماعية إلى أنّ البلاء المنصب عليها إنّما هو" آت من جهتين متعاونتين عليه، أو بعبارة أوضح من إستعمارين مشتركين يمتصان دمه ويفسدان عليه دينه ودنياه، استعمار مادّي هو الاستعمار الفرنسي... واستعمار روحاني يمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب والمتغلغلون في جميع اوساطه، والمتجرون باسم الدين والمتعاونون مع الإستعمار عن رضا وطواعية"(1).

ويصف الإبراهيمي آثار الحركة العلمية الّتي حقّقتها جهود ابن باديس التعليمية فيقول :"ورأيت بعيني النتائج الّتي تحصل عليها أبناء الشعب الجزائري في بضع سنوات من تعليم ابن باديس واعتقدت منذ ذلك اليوم أنّ هذه الحركة العلمية المباركة لها ما بعدها وأنّ هذه الخطوة المسدّدة الّتي خطاها ابن باديس هي حجر الأساس في نهضة عربية في الجزائر"(2).

إنّ كلّ ماجاءت به الطرق من مستحدثات إنّما هو بدعة في الإسلام، تسعى من خلالها لخدمة مصالحها الدنيوية، فقد اعتبرت الجمعية هذه الطرق "علة العلل في الإفساد ومنبع الشرور وإن كل ما هو متفش في الأمة من ابتداع في الدّين وضلال في العقيدة وجهل بكل شيء وغفلة عن الحياة والإلحاد في الناشئة، فمنشؤه من الطرق ومرجعه إليها..وأنّها سبب تفرق المسلمين"(3).

وقد رأت الجمعية بأنّ الحل الوحيد لذلك هو محاربتهم بآثارهم من أجل إخراج الأمّة من أزمتها ، فلا يمكن أن يتحقق أي إصلاح في الأمّة إلا بالقضاء على خرافات هؤلاء المضلين.

---

(1) – محمد البشير الإبراهيمي – في قلب المعركة- دار الامة -1994م – الجزائر- ص220.

(2) – المرجع نفسه – ص 216.

(3) – جمعية العلماء المسلمين – سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – مرجع سابق – ص 61

و لم تكن محاربة الطرقيين وبدعهم حديثة بل تزامنت مع ظهور حركة الإصلاح الدّيني في الجزائر، ولقد اشتدّ الصراع بين الإصلاحيين والطرقيين أكثر مع ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 1913 م ، فاضطر فيها العلماء في بداية التأسيس إلى جمع جميع العلماء الجزائريين المثقفين بمختلف انتماءاتهم الثقافية، وكان من بينهم ممثلي الزوايا الطرقية كان القصد من هذا الجمع هو تحقيق " التضامن الإسلامي وإرادة في إقامة التقارب بين مختلف مثقفي البلاد، لذا لم تكن اللّجنة المديرة الأولى للجمعية مكوّنة كلّها من أنصار الإصلاح"(1).

و إنّ التقدّم الّذي أحرزته الحركة الإصلاحية عبر إرساء فروع جمعية العلماء المسلمين ودعاية ابن باديس الواسعة سرعان ما ورع العديد من الجمعيات المرابطية، هذه الأخيرة غير المبالية في الظاهر بالتجديد الروحي والثقافي الّذي كان ابن باديس يدعو إليه، جعل هذه الجمعيات المرابطية تشعر بأنّها مهددة في قوتها الدنيوية(2).

وهو الأمر الّذي جعلها تبحث عن السلطة الإدارية داخل الجمعية لتتحكم من خلالها في زمام الأمور وأن تسير الجمعية لمصالحها الخاصّة ولقد كانت انتخابات اللّجنة المديرة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1932م فرصة لذلك لتظهر فيها نواياها الحقيقية الّتي سببت أزمة داخل الجمعية وأدّت إلى اضطراب الأحوال أثناء الإعداد للانتخابات ، لتنتهي في الأخير إلى حصول العناصر الإصلاحية على أغلبية الأصوات، الّذي أدّى إلى انسحاب المرابطين لتصبح بعدها الجمعية حرّة من أي ارتباط مع المرابطية محققة بذلك شهرة أكبر ونجاحًا أكثر.

---

(1) – زعيمي مراد – علم الإجتماع رؤية نقدية – مرجع سابق – ص156.

(2) – المرجع نفسه – ص 172.

3- تفسيره للقرآن:

اعتمد ابن باديس اعتمادًا كبيرًا على منهج القرآن الكريم في تناول أمور العقيدة والشريعة والأخلاق، حيث كان يطّلع على كلّ كتب التفسير القديمة، وينتقي منه أوضحه وأبسطه وأشده ملائمة لتلبية دواعي الإصلاح الدّيني.

والقرآن الكريم هو الكتاب الخالد للأمّة الإسلامية، محفوظ في الصدور والسطور، والتمسّك به هداية وتلاوته رزق وتوفيق.

" أتى القرآن لأوّل نزوله بالعجائب المعجزات في إصلاح البشر فإنّه حقيق بأن يأتي بتلك المعجزات في كلّ زمان ، إذ وجد ذلك الطراز العالي من العقول الّتي تفهمته، وذلك النمط السامي من الهمم الّتي نشرته وعممته، فإن القرآن لا يأتي بمعجزاته ولا يؤتي آثاره في إصلاح النّفوس إلاّ إذا تولته بالفهم عقول كعقول السلف، وتولته بالتطبيق العملي نفوس سامية وهمم بعيدة كنفوسهم وهممهم"(1).

وكان للشيخ عبد الحميد ابن باديس رأي في القرآن بنى عليه كلّ أعماله في العلم، والإصلاح، والتربية والتعليم:" وهو أنّه لا فلاح للمسلمين إلاّ بالرّجوع إلى هدايته والإستقامة على طريقته وهو رأي الهداة المصلحين من قبله"(2).

والقرآن الكريم شفاء لما في الصدور من عقائد السوء، ونزعات الشكوك ، وشفاء أيضا للنّفوس من سيّء الأخلاق وهذا بيانه في قوله تعالى:* وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا *(3).

---

(1) – عبد الحميد ابن باديس – مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير – دار الكتب العلمية – الطبعة 2- 2002م / 1424 هـ – بيروت لبنان – ص16.

(2) – المصدر نفسه – ص 20.

(3) – سورة الإسراء – الآية :82 .

والمقصود بهذه الآية أنّ القرآن شفاء يستشفى به المؤمنون، ونعمة عظيمة مَنَّ علينا بها، علينا الإيمان بها، واتباع حلالها، وتحريم حرامها، والعمل بما فيها ، لنيل سعادة الدّنيا والآخرة(1).

ولا ينافي أيضا حصول الشفاء للأبدان بالقرآن في بعض الأحيان، وأمراض الأرواح المقصود بها مرض العقول ومرض النّفوس الناتج عن فساد الأخلاق، وفساد الإدراك، وانحطاط الصفات، أمّا الأعمال فهي تابعة لهما فتصلح بصلاحهما وتفسد بفسادهما.

و إنّ شفاء العقائد والأخلاق أساس الأعمال والمجتمع، هذه الأمراض لا تكاد تخلو آيات القرآن من معالجتها، وبيان ما هو شفاء لها. ولا شفاء لها إلاّ بالقرآن، والبيان النبوي راجع إلى القرآن، ومن طلب شفاءها في غير القرآن فإنّه لا يزيدها إلاّ مرضا.

و إنّ صلاح الإنسان وفساده إنّما يقاسان بصلاح نفسه وفسادها، و رقيّه وانحطاطه باعتبار رقي نفسه وانحطاطها، وما فلاحه إلاّ بزكائها وما خيبته إلاّ بخبثها(2).

وصلاح القلب بمعنى النّفس بالعقائد الحقة والأخلاق الفاضلة وإنما يكونان بصحة العلم وصحة الإرادة...، فصلاح النّفس هو صلاح الفرد وصلاح الفرد هو صلاح المجموع، والعناية الشرعية متوجهة كلّها إلى صلاح النفس . فما من شيء ممّا تنقص كلمة الله تعالى لعباده من الحقّ والخير، والعدل، والإحسان، إلاّ وهو راجع عليها بالصلاح، وما من شيء نهى الله تعالى عنه من الباطل والشر والظلم والسوء، إلا وهو عائد عليها بالفساد (3).

فتكميل النّفس الإنسانية هو أعظم المقصود من إنزال الكتب وإرسال الرسل وشرع الشرائع.

---

(1) – عبد الحميد ابن باديس – مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير – مصدر سابق – ص 144.

(2) – المصدر نفسه – ص 148.

(3)– عمار الطالبي – آثار ابن باديس – مرجع سابق– ج1 – ص 232.

المبحث الثالث : التجديد في إصلاح التعليم :

لا حياة إلاّ بالعلم وإنّما العلم بالتعلّم، فلن يكون عالما إلاّ من كان متعلّما، كما لن يصلح معلما إلاّ من قد كان متعلما.

ولا أدلّ على وجود روح الحياة في الأمّة وشعورها بنفسها ورغبتها في التقدّم من أخذها بأسباب التّعليم، الذي ينشر فيها الحياة ويبعثها على العمل ويسمو بشخصيتها في سلّم الرّقي الإنساني ويظهر كيانها بين الأمم.

لقد كرّس الشيخ عبد الحميد ابن باديس سبع وعشرين سنة كاملة من عمره لهذا المجال، ورأي أنّ المنهج الصالح لهذا المجال هو التعمق في القرآن والسّنة ثمّ دراسة الأصول قبل الفروع، والإستناد إلى علم النّفس لفهم نفسيات المتعلّمين، ومعرفة مدى إدراكهم والتوسّع في مختلف العلوم الشرعية والعصرية (1).

إنّ ابن باديس هو أوّل من شرع في تعليم الكبار بقسنطينة حيث كان التعليم يقتصر على الصغار، ولما كان التّعليم لا يمكنه أن يحقق أهدافه إلاّ من خلال مؤسسات تربوية، فقد عمل ابن باديس على إنشائها.

1-المؤسسات التربوية:

درّس ابن باديس في مساجد كثيرة بقسنطينة كالجامع الكبير والأخضر وسيدي عبد المؤمن ومدرسة جمعية التربية والتّعليم، وأوّل عمل تربوي له في قسنطينة كان في 1332 هـ /1913 م ، حيث أسّس مع جماعة من الفضلاء مكتبا للتّعليم الإبتدائي في مسجد سيدي بومعزة ثمّ انتقل إلى بناية الجمعية الخيرية الإسلامية الّتي تأسّست في 1917 م، وفي 1930م تطور هذا المكتب إلى مدرسة جمعية التربية والتعليم

(1) – عمار طالبي – آثار عبد الحميد بن باديس – مرجع سابق – ص 111 .

الإسلامية الّتي حرر ابن باديس قانونها الأساسي وقدمه باسمها إلى الحكومة فصادقت عليه في مارس 1931 م، واعترفت بالجمعية في الجريدة الرّسمية (1).

وما إن تأسّست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حتّى أخذت تؤسّس المدارس في مختلف جهات القطر، وعزم ابن باديس على تأسيس الكلّيات.

" وقد وصل عدد تلاميذ الجمعية إلى أكثر من 50 ألف تلميذ، فيهم أكثر من 13 ألف بنت، ونسجل هنا أنّ جمعية العلماء أوّل من إهتمّت بتعليم المرأة وفتح لها أبواب التعليم، وليست السّلطات الإستعمارية ولا التبشيرية، ولا اللاكئيون الجزائريون الّذين بدل أن يفكروا في تعليمها عزفوا حتّى عن الزواج منها احتقارًا لها وتزوجوا بفرنسيات ظنا منهم أنّ ذلك سيرفعهم إلى مستوى الفرنسيين وبالمقابل أعلنت فرنسا حربا شعواء على تعليم البنات في مدارس الجمعية، وأوحت إلى أبواقها في الجزائر وتونس بتنفيذ ذلك فنفذوا، مدّعين أنّ تعليمها خطر على عفتها(2).

ولقد برز دور الجمعية في هذا النشاط في اختيار البرامج التعليمية وتأمين الكتب اللاّزمة للتلاميذ وغيرها من الأعمال الإدارية الّتي كانت هي المسيّر الرّئيسي لها. وبهذه الطريقة استطاعت الجمعية أن تشيّد أكثر من 70 مدرسة عام 1935م، ضمّت حوالي 30 ألف تلميذ وتلميذة (3).

---

(1) – المرجع السابق – ص 114.

(2) – محمد البشير الإبراهيمي – آثار محمد البشير الإبراهيمي جمع وترتيب أحمد طالب الإبراهيمي – الطبعة 1– 1978م – الجزائر –ج2– ص 429.

(3)– أحمد الخطيب – ج.ع.م.ج وأثرها الإصلاحي –مرجع سابق – 201.

ولما كانت الوسائل المادية للحركة الإصلاحية متواضعة في بداية الأمر فقد لقيت في طريقها عدّة صعوبات في هذا المجال خاصة منها الصعوبات المادية حيث وجدت الجمعية نفسها عاجزة عن تلبية طلبات المراكز الّتي كوّنتها، وخاصّة مع بداية سنة 1936م التي عرفت انتشارًا واسعًا لحركة التّعليم في جميع مناطق الجزائر المدنية منها والرّيفية (1).

ومن الصعوبات أيضا تلك المنافسة القوية الّتي لقيتها الجمعية من قبل الطرقيين والّذين بدورهم حاولوا أن يحققوا بعض الإصلاحات على طرق التعليم البدائي الّذي عرفته الزوايا منذ القديم.

و أعلن ابن باديس عزم الجمعية على مقاومة القوانين الصادرة من قبل السلطات الإستعمارية نظرًا للإنتشار الواسع لنشاط الجمعية، وخوفا من تطوّر تأثيرها الثقافي، إذ يقول: " إننا نعلن لخصوم الإسلام والعربية أننا عقدنا على المقاومة المشروعة وسنمضي بعون الله في تعليم ديننا رغم ما يصيبنا ولن يصدنا عن ذلك شيء وإنّنا على يقين من أنّ العاقبة وإن طال البلاء لنا، وإنّ النّصر سيكون حليفنا(2)."

إنّ المذهب الثقافي الإصلاحي لم يكن متقوقعًا على نفسه رافضًا للثقافة الغربية وإنّما كانت فيه دعوة صريحة إلى الإطلاع على الثقافة الغربية وتعلّم لغاتها وبالخصوص منها الفرنسية، فبها يستطيع المواطن الجزائري أن يطّلع على التطورات الحضارية في العالم. فهي تعدّ بابًا من أبواب الثقافة وسلاحا من أسلحة الحياة، وقد بيّن ابن باديس ذلك في قوله : " إنّ الّذي يحمل على المدنية اليوم هو أوربا، فضروري لكلّ أمّة تريد أن تستثمر ثمار تلك العقول الناضجة وتكتنه دخائر الأحوال الجارية، أن تكون عالمة حية من لغات أوربا وكلّ أمّة جهلت جميع اللّغات الغربية، فإنّها تبقى في عزلة عن هذا العالم، مطروحة في صحراء الجهل والنسيان من الأمم المتمدّنة الّتي تتقدم في هذه الحياة بسرعة لم يسبق لها مثيل (3).

---

(1) – زعيمي مراد– علم الإجتماع رؤية نقدية – مرجع سابق – ص 414.

(2)– أحمد الخطيب – مرجع سابق – ص206. (2)

(3) – محمد البشير الإبراهيمي– آثار محمد البشير الإبراهيمي– مرجع سابق – ج3– ص 225.

و رأت الجمعية أنّ المسجد هو أوّل مؤسّسة يجب أن تبدأ منها دعوتها فحوّلت المساجد إلى مدارس ومعاهد تعقد فيها حلقات الدروس العلمية من إبتدائية وثانوية وعالية، سمّيت بالتعليم المسجدي ، ونظرًا لأهميته والأثر البالغ الّذي أحدثه قرنه الإمام ابن باديس بالإسلام وجعله من أهمّ الضروريات الّتي يحتاجها الجزائريون، إذ يقول : " الإسلام دين الله الّذي يجمع بين السعادتين ، وإنما يسعد بهما من اعتقد عقائده وتأدّب بآدابه... ولابد لهذا كلّه من التعليم الديني الذي محله المساجد وبدونه لا سبيل إلى شيء من هذا كلّه فصارت حاجة المسلمين إليه هي حاجتهم إلى الإسلام، وصار إعراضهم عنه هو إعراض عن الإسلام وهجر له، وما انتهى المسلمون اليوم إلاّ بذلك الهجر وذلك الإعراض ...ولن يرجى لهم شيء من السعادة الإسلامية إلاّ إذا أقبلوا على التعليم الدّيني ... فارتباط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة فكما لا مسجد بدون صلاة كذلك لا مسجد بدون تعليم (1).

2- تعليم المراة:

كانت المرأة المسلمة في الجزائر قبل ظهور حركة الإصلاح الدّيني تعاني الجمود والرّكود والجهل والحرمان بسبب العادات والتقاليد الفاسدة والفهم الخاطىء للدّين الإسلامي، الأمر الّذي أدّى إلى ظهور بعض المحاولات للتغيير من طرف بعض المثقفين الجزائريين رغبةً منهم في لفت الإنتباه إلى حالة المرأة الجزائرية البائسة.

و خالفت الجمعية دعاة التحرّر في صفة الحرّية الّتي كانوا يسعون لتحقيقها في المراة، ورأت أنّ حرية المرأة الحقيقية إنّما تتحقق بالتعليم الدّيني والتعليم الوطني، كما ناقشت موضوع حجاب المرأة المسلمة ورأت أنّه لم يكن يوما عائقا أمام تطورها وهذا في قول ابن باديس " إذا أردتم إصلاحها الحقيقي فارفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها فإن حجاب الجهل

(1) – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – سجل مؤتمر جمعية ع.م.ج – مرجع سابق – ص 105.

هو الّذي أخّرها وأمّا حجاب السّتر فإنه ما ضرّها في زمان تقدّمها، فقد بلغت بنات بغداد وبنات قرطبة وبنات بجاية مكانا عاليا في العلم وهنّ متحجبات (1).

وتشير الجمعية إلى الدّور المهم الّذي تقوم به المرأة في الأمّة " فترى أنّ الأمّة كالطائرة ولا تطير إلاّ بجناحين وجناحاها هما الرجل والمرأة لا يمكن أن تطير إلاّ بهما معًا، ومن ثم فإنّ الأمّة التي تقصر التعليم على الرجل دون المرأة ستكون نهايتها السقوط لا محالا (2)" إذًا فالمرأة المتعلمة هي جزء مكمل وضروري للرجل المتعلم لأنّ المرأة إذا تعطلت عطّلت الرجل، وإذا تأخّرت أخرته.

(1)-أحمد الخطيب – مرجع سابق – ص232

(2)- زبير بن رحال – عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية – دار الهدى – 1997 م – الجزائر – ص 63.

خاتمة

خاتمــة :

لقد مكّنتني هذه الدّراسة مِنْ أَنْ أَخْلُصَ إلى جملة من النّقاط لعلّ أهمّها:

– إنّ نشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر جاءت نتيجة لتجمع جملة من العوامل الّتي كانت دافعًا للعلماء لتغيير الواقع المعيش في الجزائر .

– شخصية "عبد الحميد ابن باديس " شخصية فذة ذات عطاء نير ونضال وطني صادق، حيث تعددت مواهبه و تنوّعت نشاطاته فكان خطيبا مفوّها وأديبًا بارعًا ومدرّسا ماهرًا...

– انتهج الإمام منهج قادة الإصلاح أمثال جمال الدّين الأفغاني و محمد عبده وهومنهج التعلّم والدّراسة والإصلاح.

إنّ القرآن الكريم هو محور الإصلاح في الفكر البديسي، ومداره أيضًا،و قد كانت جهود ابن باديس تستهدف ثلاثة أبعاد اختزلها في الشعار المأثور:الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا ، وهي أبعاد جند لها ابن باديس وقته وطاقته من أجل تكريسها واقعًا تاريخيًّا حيًّا ملموسًا.

لا يصلح أمر هذه الأمّة إلاّ بما صلح به أوّلها، هذا المبدأ اتى به الإمام "مالك بن أنس"و تبنّاه" إمام ابن باديس نهجًا عمليا وهو اعتماد شريعة الإسلام حتّى تحتل هذه الأمّة مكانتها الحقيقية بين الأمم وتعود لها كرامتها وعزتها.

تعد "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" الممثل الرّسمي لحركة الإصلاح في الجزائر، وهي الأساس الوحيد الّذي أعطى للنّهضة الجزائرية طاقة الإندفاع نحو الأهداف وهي الّتي تصدّت بكل وسائلها لمشروعات التدمير الطرقية والإستعمارية بقيادة مؤسّسها ورئيسها العلامة ابن باديس.

يعدّ ابن باديس من بين الشخصيات الّتي أيّدت تعليم المرأة المسلمة وأنّها بإمكانها أن تعيش مثل مثيلاتها الأوربيات لكن مع محافظتها على عاداتها وتقاليدها ومبادئ دينها السمحة.

الملاحق

نبذة عن العلامة عبد الحميد ابن باديس

نبذة عن العلامة عبد الحميد ابن باديس :

بعد ستين سنة من بدء الإحتلال الفرنسي للجزائر وفي ظل هذا الإحتلال ولد لمحمد مصطفى بن المكي ولده الأكبر (عبد الحميد) في 04 ديسمبر 1889 م في مدينة قسنطينة شرق الجزائر

وهو ينحدر من أسرة (ابن باديس) الصنهاجية البربرية ، وهي أسرة كريمة عريقة ، معروفة بالجاه والغنى ، ومشهورة منذ القدم بالعلم والأدب والسؤدد ، ومن رجالاتها المشهورين الّذين كان الشيخ عبد الحميد يفتخر بهم كثيرًا : المعز ابن باديس الّذي حكم المغرب للفاطميين ، وبلكين بن زيري بن مناد المكنى بأبي الفتوح ، ولقد كان لهذه الأسرة مقام محترم لدي سكان قسنطينة ، والإحتلال الفرنسي ، فكان جده الشيخ المكي قاضيا في قسنطينة ، وعضوًا في المجلس العام ، وفي اللجنة البلدية ودعي إلى الإستشارة في الجزائر وباريس ، وتقلد وساما من نابليون الثالث ، وأمّا أبوه مصطفى فكان نائبا ساميا في عدّة دوائر انتخابية ومالية على مستوى البلدية والولاية والوطن [1].

حفظ الشيخ عبد الحميد بن باديس القرآن في سنّ الثالثة عشر على يد محمد المداسي الّذي أعجب بابن باديس فقدمه ليصلي بالنّاس الترويح ثلاث سنوات متتابعات في الجامع الكبير بقسنطينة ثمّ سافر إلى تونس لمتابعة تعليمه العالي في الزيتونة حتّى نال شهادة التطويع ، وتلقى العلوم الإسلامية في الجامع على جماعة من أكابر علمائه أمثال العلامة محمد الخضر الحسين ، والمؤرخ البشير صفر

(1)- عمار طالي – أثار عبد الحميد بن باديس – مرجع سابق – ص 74 .

وبقي بعد تخرّجه سنة يدرس في جامع الزيتونة وبعدها زار عدّت بلدان مثل : دمشق ولبنان ومصر ، وأتّصل بعلمائها .

كان البشير الإبراهيمي يقوم بمهامه الإصلاحية بحسب ما خطط لها هو وابن باديس ، وكان يلتقيان كلّ أسبوعين .

أصدر عدّة صحف من بينها : المنتقد ، والشهاب البصائر ... كلّها تهدف إلى الإصلاح إلى جانب تأسس مدارس للتعليم الابتدائي .

وفي عام 1940 أصاب الشيخ مرض عانى منه معاناة شديدة جعله لا يقوى على المشي إلا مسافة قصيرة لا تزيد على مئتي متر ، ويذكر البشير الإبراهيمي أن الشيخ مصاب بسرطان في الأمعاء ، كان يحس به من سنوات ، ويمنعه انهماكه في التعليم وخدمة الشعب من التفكير فيه وفي علاجه [1].

وفي الساعة الثانية والنصف بعد الزوال من يوم الثلاثاء الثامن من ربيع الأول (1359هـ) الموافق ل16 أفريل 1940 م توفي الشيخ متأثرًا بمرضه ، عن اثين وخمسين عاما .

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة .

---

(1)- مركز البحوث والدراسات – التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد ابن باديس – مرجع سابق – ص 52 .

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

المصادر:

1- جمعية العلماء المسلمين ج – سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – دار المعرفة – الجزائر د–ط 2008 .

2- عبد الحميد بن باديس – مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير ، دار الكتب العلمية – الطبعة الثانية – بيروت –1424 هـ–2002 م

3- محمد خير الدين – مذكرات – مؤسسة لضحى – الجزء الأول الطبعة الثانية – 2002 م.

4- أبو العيد دودو – الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان – الجزائر – 1975 م

5- أبو القاسم سعد الله – الحركة الوطنية – الطبعة الأولى – الجزائر – 1992 م

6- احمد التجاني الشنقيطي – الفتوحات الربانية في الطريقة الاحمدية التجانية –دار الكتاب – د.ط – المغرب د.ت.

المراجع :

1) احمد الخطيب – الثورة الجزائرية – دار العلم للملايين – د.ط – بيروت – 1958 .

2) احمد الخطيب – جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر – المؤسسة الوطنية للكتاب – د.ط –الجزائر – 1985 م

3) احمد مريوش – الشيخ الطيب العقبي ودرة في الحركة الوطنية الجزائية – الطبعة الأولى – دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر – 2007 .

4) زبير بن رحال – عبد الحميد ابن باديس – رائد النهضة العلمية والفكرية – دار الهدى – الجزائر – 1997 م .

5) زرمان محمد – فلسفة التجديد الإسلامي (نموذج الشيخ البشير الإبراهيمي) – دار الصحوة – القاهرة – 1419هـ–1999م .

6) زعيمي مراد – علم الاجتماع رؤية نقدية – مؤسسة الزهراء للفنون المطبعة – ب.ط – د.ت – الجزائر .

7) سعاد سطحي – التأصل الديني لمصطلحي الإصلاح والتجديد – مجلة الدراسات العقدية ومقارنة الأديان – العدد الثالث – الجزء الثالث – مخبر البحث في الدراسات العقدية ومقارنة الأديان – 1427هـ–2006 م.

8) عبد الرحمان الجيلالي – تاريخ الجزائر العام – دار الثقافة – الطبعة الثانية – المجلد الثاني – 1384هـ –1965م .

9) عبد الرسيد زروقة – جهاد ابن باديس ضد الاستعمار الفرنسي في الجزائر – دار الشهاب – الطبعة الأولى – 1420 هـ–1999 م

10) عبد الكريم بوصفصاف – الفكر العربي الحديث والمعاصر (محمد عبده الحميد بن باديس نموذجا) – الجزء الأول – دار مداد – يونيفار سيتي براس – قسنطينة – 2009 .

11) عليوان سعيد – فلسفة ابن باديس في الإصلاح – مجلة المعيار .

12) عمار الطالبي – ابن باديس حياته وأثاره – دار الغرب الإسلامي الطبعة 2 – بيروت – 1983 م .

13) عمار الطالبي – أثار ابن باديس تفسير وشرح أحاديث – دار علامة – الطبعة الأولى – 1388 هـ–1968م

14) عمر راسم – مقال بعنوان " الإنسانية تتعذب " جريدة الحق الوهراني – العدد 46 -25 أوت 1912 م .

15) كمال عجالي – الفكر الإصلاحي في الجزائر – الشيخ الطيب العقبي بين الأصالة والتجديد – شركة مزوار – الوادي – 2005 .

16) محمد البشير الإبراهيمي – أثار محمد البشير الإبراهيمي جمع وترتيب احمد طالب الإبراهيمي – الطبعة الاولى – الجزائر – 1978 م.

17) محمد البشير الإبراهيمي – في قلب المعركة – دار الأمة – الجزائر – 1994 م .

18) محمد الدراجي – الحركة الإصلاحية في الجزائر – رجال وأفكار – دار قرطبة – الجزائر – الطبعة الأولى – 2008 .

19) محمد الميلي – ابن باديس وعروبة الجزائر – الشركة الوطنية للنشرة والتوزيع – د.ط – الجزائر – 1973 م .

20) محمد بن سمنية – النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر – مؤثراتها – بدايتها – مراحلها – مطبعة الكاهنة – الجزائر – 2003 .

21) محمد بهي الدين سالم –(ابن باديس في الإصلاح والتنوير) – دار الشروق – الطبعة الأولى – 1420هـ–1999م .

22) محمد عمارة – مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية – مكتبة الشروق الدولية – الطبعة الثانية – 1427 هـ–2007 م.

23) محمد ناصر – المقالة الصحفية الجزائرية نشأتها تطورها إعلامها من 1903 إلى 1931 – وزارة الثقافة – الجزائر – 2007 .

24) مركز البحوث والدراسات – التجربة الدعوية للشيخ عبد الحميد ابن باديس – البيان – 1435هـ–2013 م.

25) مصطفى محمد حميدا توا – عبد الحميد ابن باديس وجهوده التربوية –كتاب الأمة – الطبعة الأولى – 1418هـ–1997م

26) نور الدين ابولحية – جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما – دراسة علمية – دار الأنوار – الطبعة الثانية – 1437هـ–2016م .

27) وزارة الشؤون الدنية – الطبعة 1 – الجزائر – 1412هـ-1991م اثار الامام عبد الحميد ابن باديس ج5- ج3.

28) وهيض نظمي – ملامح من الفكر الغربي في عصر النهضة – مركز دراسات الوحدة العربية – الطبعة الأولى – بيروت – 1984م.

29) يوسف القرضاوي – أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة – د.ط – د.ت.

الرسائل الجامعية :

30) مازن صلاح حامد مطبقاني – جمعية العلماء المسامين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية ، الماجستير – قسم التاريخ ،كلية الاداب والعلوم الانسانية – جامعة المالك عبد العزيز – 1938-1939م .

31) أحلام بالولي – بلاغة اللغة في أدب المقال الإصلاحي عند محمد البشير الإبراهيمي (عيون البصائر نموذجا) – الماجستير – قسم اللغة والأدب العربي –كلية الآداب واللغات – جامعة العقيد أكلي محن داو لحاج – 2013– 2014 م.

المجلات:

32) عبد الحميد ابن باديس ، مجلة البصائر ، أسبوعية

- العدد الأول 1354 هـ–1935 م
- العدد عشرون 1355 هـ–1936 م
- العدد السابع 1358هـ–1939 م .

33) عبد الحميد ابن باديس – مجلة الشهاب – شهرية – جزء 9 مجلد 13 – الجزائر – م1937 .

34) لخضر بن العربي عواريب – نظرات تربوية في المنهج الإصلاحي الباديسي – مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية – العدد الأول – ديسمبر 2010.

المواقع الالكترونية :

35) أسامة شحادة – العلامة عبد الحميد ابن باديس – البيان www.albayan.com 2013 .

36) رأفت غنيمي – ملتقى دولي حول : " الفكر الإصلاحي عند الإمامين عبد الحميد ابن باديس وبديع الزمان سعيد النورسي " – www.islamic rabta.com ، 1435هـ–2013 م .

فهرس الموضوعات

المواضيع	الصفحة
إهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ – ج
تمهيد	1 – 3
الفصل الأول: ابن باديس وجهوده الإصلاحية	4
المبحث الأول : الحياة السياسية والثقافية والدينية في عهد الإمام	5
1. تهجير الفرنسيين والأوربيين للاستطان بالجزائر	6
2. إرهاق الشعب الجزائري بالضرائب	7
3. مصادرة الأوقاف الإسلامية والاستيلاء عليها	7
4. التضييق على التّعليم العربي	8
4.1. الطّرق الصّوفية	9
4.2. انتشار الجهل والأمية	10
4.3. المدارس البديلة الّتي أنشأها الاستعمار	10
4.4. هجر الأهالي للمدارس الفرنسية	11
5. مفهوم النّهضة	12
5.1 عودة الطلبة الذين درسوا في الخارج	13
5.2 الحركة الإصلاحية في العالم الإسلامي	14
5.3 ظهور الصحافة العربية في الجزائر	14

4.5 تولي " شارل جونار" الولاية العامة في الجزائر	15
المبحث الثاني : منهج ابن باديس الإصلاحي	16
1. سمات في الشيخ منهجه الإصلاحي	16
1.1 التسامح والتفاؤل والرفق بالخلق	16
2.1 رجاء في الله وفرار إليه	17
3.1 خلق العفو	17
4.1 الصرامة في الحق	17
2. ظهور فكرة الإصلاح	18
3. نجاح خطة الإصلاح	18
4. وسائل العصر في الإصلاح	19
5. القرآن الكريم أساس الإصلاح	19
6. أساس الإصلاح إصلاح التعليم	20
7. العلم قبل العمل	20
8. القدرة الحسنة	21
9. الاهتمام بتعليم اللغة العربية	21
المبحث الثالث : تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	23
1. المرحلة التأسيسية للجمعية	24
2. شرارة التأسيس	25
3. ميلاد الجمعية	25
4. جمعية العلماء في عهد ابن باديس واهم منجزاتها.	26

4.1 استبعاد المحافظين من الجمعية	27
4.2 المؤتمر الإسلامي	28
5. سير الجمعية وأعمالها وملخص قراراتها	29
6. القانون الأساسي للجمعية	30
7. مواقف الجمعية	30
7.1 موقف الجمعية العلماء المسلمين من الطرق	30
7.2 موقف الجمعية من التعليم	31
7.3 موقف الجمعية من البدع والخرافات العامة	31
8. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الإصلاح	33 – 32
الفصل الثاني : التجديد عند الشيخ عبد الحميد ابن باديس	34
المبحث الأول : شمولية الرؤية والطرح	35
1. البعد الديني (مقاومة الطرقية المنحرفة)	35
2. البعد الاجتماعي	37 – 36
3. البعد الفكري	40 – 38
المبحث الثاني : التجديد في الإصلاح الديني	41
1. محاربة البدع والخرافات	42 – 41
2. الوقوف في وجه الطرقيين الرجعيين	44 – 43
3. تفسير للقرآن	46 – 45
المبحث الثالث : التجديد في إصلاح التعليم	47
1. المؤسسات التربوية	49 – 47

2. تعليم المرأة	51 – 49
خاتمة	52
الملاحق	57 –53
المصادر والمراجع	62 – 58
فهرس الموضوعات	66 – 63

ملخص

يمثل هذا البحث دراسة حول مفهوم التجديد عند الشيخ عبد الحميد بن باديس من جانب الإصلاحات الّتي قام بها في مختلف الأبعاد ودور جمعية العلّماء المسلمين في الحركة الإصلاحية في الجزائر.

الكلمات المفتاحية : التجديد – الإصلاح – عبد الحميد ابن باديس.

Résume :

Cette recherche signifie une étude sur la coopération du renouvellement chez l'imam Abdel Hamid ibn badis du côté des reformes les quelles à réalise dans certains domaines et le rôle de l'association des savants musulmans algériens dans l'intérêt de l'Algérie .

Mots clés : le renouvellement – la reforme - Abdel Hamid ibn badis

Summary :

This research represent a study about the concept of innovation at abdel hamid ibn badis on the other hand the reforms that he carried out in various dimension and the role of the association of algerian muslim scholars in the mavement reform .

The heey word : innovation – reform – abdel hamid ibn badis.